البـابُ الثَّـانِى :

الشَّـاعِــر
تَمِيـم البـرغُـوثِى

۞ـ تميم البرغوثى

ـ حَيَاتُهُ وَسِيرَتُهُ ... فِى سُطُور:

تميم مريد البرغوثى: شاعرٌ فلسطينىٌّ؛ اشتُهرَ فى العالم العربىِّ بقصائده التى تتناول قضايا الأُمَّة؛ وكان أول ظهورٍ جماهيرىٍّ له فى برنامج أمير الشُّعراء على تلفزيون أبو ظبى؛ حيث ألقى قصيدة: ((فى القُدس))؛ والتى لاقت إعجاباً جماهيرياً كبيراً واستحسان المُهتمِّين والمُتخصِّصين فى الأدب العربىِّ.

وهو ابن الشاعر الفلسطينىِّ مريد البرغوثى؛ والكاتبة المصريَّة رضوى عاشور.

وُلِدَ بالقاهرة عام ١٩٧٧م.

حَصُلَ على الدُّكتوراه فى العُلُوم السياسيَّة من جامعة بُوسطن بالولايات المُتحدَّة الأمريكيَّة عام ٢٠٠٤م؛ ثُمَّ عَمِلَ أُستاذاً مُساعداً للعلوم السياسيَّة بالجامعة الأمريكيَّة بالقاهرة؛ ومُحاضراً بجامعة برلين الحُرَّة؛ كما عَمِلَ بقسم الشُّؤون السياسيَّة بالأمانة العامة للأُمم المتحدة بنيويورك؛ وبعثة الأمم المتحدة بالسُّودان؛ وباحثاً فى العلوم السياسيَّة بمعهد برلين للدراسات المُتقدِّمة؛ وهو حالياً أُستاذٌ مُساعدٌ زائرٌ للعلوم السياسيَّة فى جامعة جورجتان بواشنطن.

له كتابان فى العلوم السياسيَّة:

ـ الأوَّل باللغة العربيَّة بعنوان : ﴿ الوطنيَّة الأليفة : الوفد وبناء الدولة الوطنيَّة فى ظلِّ الاستعمار ﴾ : صدر عن دار الكُتُب والوثائق القوميَّة بالقاهرة عام ٢٠٠٧م .

ـ والثانى بالإنجليزيَّة

: The Umma and the Dawla: the Nation state and the Arab Middle East

عن مفهومى الأُمَّة والدولة فى العالم العربىِّ : صدر عن دار بلوتو للنشر بلندن عام ٢٠٠٨م .

كتب مقالاً أُسبوعيَّاً عن التاريخ العربىِّ والهُويَّة فى جريدة الديلى ستار اللبنانيَّة الناطقة بالإنجليزيَّة لِمُدَّة سنة : من ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤ م .

له أربعة دواوين باللغة العربيَّة الفُصحى وبالعاميتين الفلسطينيَّة والمصريَّة ؛ هى :

ـ ميجنا : عن بيت الشعر الفلسطينىِّ برام الله عام ١٩٩٩ م .

ـ المنظر : عن دار الشروق بالقاهرة عام ٢٠٠٢ م .

ـ « قالوا لى بتحب مصر ؟ ؛ قلت مش عارف » : عن دار الشروق بالقاهرة عام ٢٠٠٥م .

ـ مقام عراق : عن دار أطلس للنشر بالقاهرة عام ٢٠٠٥ م .

نشر قصائده فى عدد من الصُّحُف والمجلاَّت العربيَّة ؛ كـ : أخبار الأدب ؛ والدُّستور ؛ والعربى ـ القاهريَّات ـ ؛ والسفير اللبنانيَّة ؛ والرأى الأُردنيَّة ؛

و : الأيَّام ؛ و : الحياة الجديدة ـ الفلسطينيتين ـ .

كانت قصيدة « فى القُدس » هى الأوفر حظّاً من حيث الاهتمام على الصعيد النقدىِّ والأدبىِّ والانتشار الجماهيرىِّ الواسع ؛ وهى التى ضمنت لتميم هذه المنزلة بين غيره من الشُّعراء وهذه الحُظوة لدى جمهوره العربىِّ ؛ وقد كان لهذه القصيدة مع تميم قِصَّة : فقد كتبها قبل مُشاركته ببرنامج أمير الشُّعراء الذى أُذيع على قناة أبو ظبى الفضائيَّة ؛ والذى كان منبراً أذاع من خلاله هذهِ القصيدة ؛ وقد كتبها بعدما فشل فى الوصول إلى المسجد الأقصى لصلاة الجُمعة حيث كان سِنُّهُ أقل من ٣٥ سنة ؛ وكانت سُلطات الاحتلال الإسرائيلىِّ تمنع ذلك لدواعٍ أمنيَّةٍ ؛ فكتب هذه القصيدة مُتأثِّراً بذلك ؛ ونشرتها إحدى الصُّحُف ؛ وظلَّت مغمورة ؛ ولم يهتم بها أحدٌ إلى أن طفت على السطح بعد إذاعتها فى ذلك البرنامج .

نَمَاذِجٌ وَمُخْتَارَات

۞ - فِى القُدْس

مَرَرْنَا عَلَى دَارِ الحَبِيبِ فَرَدَّنَا
عَنِ الدارِ قانُونُ الأعادى ... ؛ وسُورُها
فَقُلْتُ لنفسى رُبما هِىَ نِعْمَةٌ
فماذا تَرَى فى القُدسِ حينَ تَزُورُها ؟!!
تَرَى كُلَّ ما لا تستطيعُ احتِمالَهُ
إذا ما بَدَت من جَانِبِ الدَّرْبِ دُورُها !!
وما كُلُّ نفسٍ حينَ تَلْقَى حَبِيبَها
تُسَرُّ... ؛ ولا كُلُّ الغِيابِ... ؛ يَضِيرُها
فإن سرَّها قبلَ الفِراقِ لِقاؤُه
فليسَ بمأمونٍ عليها سرُورُها
متى تُبْصِرِ القُدسَ العتيقةَ مَرَّةً
فسوفَ تراها العَيْنُ حَيْثُ تُدِيرُها
فى القُدسِ بائعُ خُضرةٍ من جورجيا بَرِمٌ
بزوجته يُفكِّرُ فى قضاءِ إجازةٍ أو فى
طلاءِ البيتْ... ؛ فى القُدس توراةٌ وكهلٌ
جاءَ من مَنْهاتِنَ العُليا يُفَقِّهُ فتيةَ البُولُونِ
فى أحكامها... ؛ فى القُدسِ شُرطىٌّ من

الأحباشِ يُغْلِقُ شَارِعاً فى السُّوقِ... ؛
رشَّاشٌ على مُستوطنٍ لم يبلغِ العشرين
... ؛ قُبَّعةٌ تُحَيِّى حائطَ المبكَى... ؛ وسُيَّاحٌ
من الإفرنجِ شُقْرٌ لا يَرَوْنَ القُدسَ إطلاقاً ؛
تَراهُم يأخذونَ لبعضهم صُوَراً مَعَ امْرَأَةٍ
تبيعُ الفِجْلَ فى السَّاحاتِ طُولَ اليَومْ... ؛
فى القُدسِ دَبَّ الجندُ مُنْتَعِلِينَ فوقَ الغَيمْ ؛
فى القُدسِ صَلَّينا على الإِسْفَلْتْ ؛
فى القُدسِ مَن فى القُدسِ !!... ؛ إلا أنْتْ ؟!!
وَتَلَفَّتَ التاريخُ لى مُتَبَسِّماً !!.....:
أَظَنَنْتَ حقاً أنَّ عينَك سوفَ تُخطئهم وتُبصرُ
غيرَهم !!... ؛ ها هُم أمامَكَ ؛ مَتْنُ نصٍّ أنتَ
حاشيةٌ عليهِ وَهَامشٌ !!... ؛ أَحَسبتَ أنَّ زيارةً
ستُزيحُ عن وجهِ المدينةِ يا بُنَىَّ حجابَ واقِعِها
السميكَ لكى ترى فيها هَواكْ!!
فى القُدسِ كُلُّ فتىً سِواكْ
وهى الغزالةُ فى المدى ؛ حَكَمَ الزمانُ بَيْنَها
ما زِلتَ تَرْكُضُ إثْرَهَا مُذْ وَدَّعَتْكَ بِعَيْنِها
رفقاً بِنَفسكَ ساعةً إنِّى أراكَ وَهَنْتْ

فى القُدسِ من فى القُدسِ!!... ؛ إلا أَنْتْ ؟!!
يا كاتبَ التاريخِ مَهْلاً... ؛ فالمدينةُ دهرُها
دهرانِ... ؛ دهرٌ مُطمئنٌ لا يُغيِّرُ خطوَه وكأنَّه
يمشى خلالَ النَّومْ... ؛ وهُناك دهرٌ: كامنٌ مُتلثِّمٌ
يمشى بلا صوتٍ حِذار القومْ !!
والقُدس تعرف نفسها... ؛ اسأل هُناك الخلقَ
يدُلُّكَ الجميعُ ... ؛ فكلُّ شىءٍ فى المدينةِ ذو لسانٍ
حين تَسأَلُهُ... ؛ يُبينْ
فى القُدس يزدادُ الهلالُ تَقوُّساً مثلَ الجنينْ
حَدْبَاً على أشباهه فوقَ القِبابِ
تَطَوَّرَتْ ما بَيْنَهم عَبْرَ السِّنينِ عَلاقةُ الأَبِ بالبَنينْ
فى القُدس أبنيةٌ حجارتُها اقتباساتٌ من الإنجيلِ
والقُرآنْ
فى القُدس تعريفُ الجمالِ مُثَمَّنُ الأضلاعِ أزرقُ ؛
فَوْقَهُ ؛ يا دامَ عِزُّكَ ؛ قُبَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ... ؛ تبدو برأيى : مثل
مرآةٍ مُحَدَّبةٍ ترى وجه السَّماء مُلَخَّصَاً فيها
... ؛ تُدَلِّلُها وَتُدْنِيها ... ؛ تُوَزِّعُها كَأَكْياسِ المعُونَةِ
فى الحِصَارِ لِمُستَحِقِّيها... ؛ إذا ما أُمَّةٌ من بعدِ خُطْبَةِ

جُمْعَةٍ مَدَّت بِأَيْدِيها
وفى القُدس السَّماءُ تَفَرَّقَتْ فى النَّاسِ تحمينا... ؛
ونحميها... ؛ ونحملُها على أكتافِنا حَمْلاً إذا جَارَت
على أقمارِها الأزمانْ
فى القُدس أعمدةُ الرُّخامِ الدَّاكناتُ
... ؛ كأنَّ تعريقَ الرُّخامِ دُخانْ
ونوافذٌ تعلو المساجدَ والكنائسَ ؛
أَمْسَكَتْ بيدِ الصَّباحِ تُرِيهِ كيفَ النَّقشُ
بالألوان... ؛ وَهْوَ يقول : « لا بل هكذا »
... ؛ فَتَقُولُ : « لا بل هكذا »
حتى إذا طال الخلافُ تقاسما
فالصُّبحُ حُرٌّ خارجَ العَتَبَاتِ لَكِنْ ... ؛
إن أرادَ دُخُولَها... ؛ فَعَلَيهِ أن يَرْضَى بحُكْمِ
نوافذِ الرَّحْمَنْ
فى القُدس مدرسةٌ لمملوكٍ أتى مما وراءَ النَّهرِ
... ؛ باعوهُ بسوقِ نِخَاسَةٍ فى أصفهانَ... ؛ لتاجرٍ
من أهلِ بغدادٍ أتى حلباً فخافَ أميرُها من
زُرْقَةٍ فى عَيْنِهِ اليُسْرَى... ؛ فأعطاهُ لقافلةٍ أتت
مصرا... ؛ فأصبحَ بعدَ بضعِ سنينَ غَلاَّبَ المغولِ

... ؛ وصاحبَ السُّلطانْ !!
فى القُدس رائحةٌ تُلَخِّصُ بابلاً والهندَ فى دُكَّانِ
عطَّارٍ بخانِ الزَّيتْ
واللهِ رائحةٌ لها لغةٌ سَتَفْهَمُها إذا أصْغَيتْ !!... ؛
وتقولُ لى إذ يطلقونَ قنابل الغاز المُسيِّلِ للدموع
عَلَىَّ : « لا تحفل بهم » !!
وتفوحُ من بعدِ انحسارِ الغازِ ؛ وَهْىَ تقولُ لى : « أرأيتْ ؟!! »
فى القُدس يرتاحُ التناقضُ ؛ والعجائبُ ليسَ يُنكرُها العِبادُ ؛
كأنها قِطَعُ القِمَاشِ يُقَلِّبُونَ قَدِيمها وَجَدِيدَها... ؛
والمُعجزاتُ هناكَ تُلْمَسُ باليَدَيْنْ
فى القُدسِ لو صافحتَ شيخاً أو لمستَ بنايةً... ؛
لَوَجَدْتَ منقوشاً على كَفَّيكَ نَصَّ قصيدَةٍ
يا ابْنَ الكرامِ أو ابْنَتَيْن !!
فى القُدسِ ؛ رغمَ تتابُعِ النَّكَباتِ ؛ ريحُ براءةٍ فى
الجوِّ ؛ ريحُ طُفُولَةٍ ؛ فَتَرَى الحمامَ يَطِيرُ يُعلِنُ دَوْلَةً
فى الريحِ بَيْنَ رَصَاصَتَيْن
فى القُدسِ تنتظمُ القبورُ ؛ كأنهنَّ سُطورُ تاريخ
المدينةِ والكتابُ تُرابُها
الكُلُّ مرُّوا من هُنا

فالقُدسُ تقبلُ من أتاها كافراً... ؛ أو مؤمنا
أُمرر بها واقرأ شواهدَها بكُلِّ لغاتِ أهلِ الأرضِ
فيها الزَّنجُ والإفرنجُ والقَفْجَاقُ والصِّقْلابُ والبُشْنَاقُ
والتتارُ والأتراكُ ؛ أهلُ الله والهُلاَّكُ ؛ والفقراءُ والمُلاَّكُ ؛
والفُجَّارُ والنُّسَّاكُ ... :
فيها كُلُّ من وطئَ الثَّرى
كانوا الهوامشَ فى الكتابِ فأصبحوا نَصَّ المدينةِ قبلنا
يا كاتب التاريخ ماذا جَدَّ... ؛ فاستثنيتنا؟!!
يا شيخُ فلتُعِدِ الكتابةَ والقراءةَ مرَّةً أُخرى!!... ؛ أراك لَحَنْت؟!!
العين تُغْمِضُ ؛ ثُمَّ تنظُرُ ؛ سائقُ السيارةِ الصفراءِ ؛ مالَ بنا شَمالاً
نائياً عن بابها
والقُدس صارت خلفنا
والعينُ تُبصرُها بمرآةِ اليمينِ... ؛
تَغَيَّرَت ألوانُها فى الشَّمسِ ؛ مِن قَبْلِ الغِيَابْ
إذ فاجَأَتْنى بسمةٌ لم أدْرِ كيفَ تَسَلَّلَت للوَجْهِ
قالت لى وقد أَمْعَنْتُ ما أَمْعنْت !!... :
يا أيُّها الباكى وراءَ السُّورِ!!... ؛ أحمقُ أَنْت؟!!
أَجُنِنْت؟!!
لا تبكِ عينُكَ أيُّها المنسىُّ من متنِ الكتابْ

لا تبكِ عينُكَ أيُّها العَرَبِىُّ واعلم أنَّهُ
فى القُدسِ من فى القُدسِ لكنْ
لا أَرَى فى القُدسِ !!... ؛ إلا أَنْت !!

۞ ـ أَمْـرٌ طَبِيعِـىٌّ

أَرَى أُمَّةً فى الغَارِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ... ؛ تَعُودُ إليهِ حِينَ يَفْدَحُهَا الأَمْرُ
أَلَمْ تَخْرُجِى مِنْهُ إلى المُلْكِ آنِفاً... ؛ كَأَنَّكِ أَنْتِ الدَّهْرُ لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ ؟!!
فَمَالَكِ تَخْشَيْنَ السُّيُوفَ بِبَابِهِ كَأُمِّ غَزَالٍ فِيهِ جَمَّدَهَا الذُّعْرُ ؟!!
قَدِ ارْتَجَفَتْ فَابْيَضَّ بِالخَوْفِ وَجْهُهَا وَقَدْ ثُبِّتَتْ فَاسْوَدَّ مِنْ ظِلِّها الصَّخْرُ

يا أُمَّتى يَا ظَبْيَةً فى الغَارِ ضَاقَتْ عَنْ خُطَاها كُلُّ أَقْطَارِ المَمَالِكْ
فى بالِها لَيْلُ المَذَابِحِ والنُّجُومُ شُهُودُ زُورٍ فى البُرُوجْ
فى بالِها دَوْرِيَّةٌ فِيها جُنُودٌ يَضْحَكُونَ بِلا سَبَبْ
وَتَرَى ظِلالاً لِلْجُنُودِ عَلَى حِجَارةِ غَارِها
فَتَظُنُّهم جِنّاً وتَبْكِى : « إنَّهُ المَوْتُ الأَكِيدُ ولا سَبِيلَ إلى الهَرَبْ !! »
يَا ظَبْيَتى مهلاً !! ؛ تَعَالَىْ وَانْظُرِىْ !! ؛ هَذَا فَتَىً خَرَجَ الغَدَاةَ وَلَمْ يُصَبْ
فى كَفِّهِ حَلْوَىً ؛ يُنَادِيكِ : « اخْرُجِى !! ؛ لا بَأْسَ يَا هَذِى عَلَيكِ مِنَ الخُرُوجْ »
وَلْتَذْكُرِى أَيَّامَ كُنْتِ طَلِيقَةً ... ؛ تَهْدِى خُطَاكِ النَّجْمَ فى عَلْيائِهِ ؛ والله يُعرَفُ من خِلالِكْ
يا أُمَّنا !! ؛ والموتُ أَبْلَهُ قَرْيَةٍ يَهْذِى وَيسْرِقُ مَا يَطيب لَهُ مِنَ الثَّمرِ المُبارَكِ فى سِلالِكْ
وَلأَنَّهُ يَا أمُّ أَبْلَهُ ... ؛ فَهْوَ لَيْسَ بِمُنْتَهٍ مِنْ أَلْفِ عَامٍ عَنْ قِتَالِكْ
حَتَّى أَتَاكِ بِحَامِلاتِ الطَّائِرَاتِ وَفَوْقَها جَيْشٌ مِنَ البُلَهَاءِ يَسْرِقُ

... ؛ مِنْ حَلالِكْ
وَيَظُنُّ أَنَّ بِغَزْوَةٍ أَوْ غَزْوَتَيْنِ سَيَنْتَهِى فَرَحُ الثِّمارِ عَلَى تِلالِكْ !!
يَا مَوْتَنَا !!... ؛ يَشْفِيكَ رَبُّكَ مِنْ ضَلالِكْ !!

يَا أُمَّةً فى الغَارِ مَا حَتْمٌ عَلَيْنَا أَنْ نُحِبَّ ظَلامَهُ
إِنِّى رَأَيْتُ الصُّبْحَ يَلْبِسُ زِىَّ أَطْفَالِ المَدَارِسِ حَامِلاً أَقْلامَهُ
وَيَدُورُ ما بينَ الشَّوارِعِ بَاحِثاً عَنْ شَاعِرٍ يُلْقِى إِلَيْهِ ... ؛ كَلامَهُ
لِيُذِيعَهُ للكَوْنِ فى أُفُقٍ تَلَوَّنَ بِالنَّدَاوَةِ وَاللَّهَبْ
يَا أُمَّتِى يَا ظَبْيَةً فى الغَارِ قُومِى وَانْظُرِى
أَلصُّبْحُ تِلْمِيذٌ لأَشْعَارِ العَرَبْ

يا أُمَّتى أَنَا لَستُ أَعْمَىً عَنْ كُسُورٍ فى الغَزَالَةِ ... ؛ إِنَّهَا عَرْجَاءُ
... ؛ أَدْرِى ... ؛ إِنَّهَا عَشْوَاءُ ... ؛ أَدْرِى
إِنَّ فيها كُلَّ أوجاعِ الزَّمَانِ وإِنَّها
مَطْرُودَةٌ مَجْلُودَةٌ مِنْ كُلِّ مَمْلُوكٍ وَمَالِكْ
أَدْرِى وَلَكِنْ لا أَرَى فى كُلِّ هَذَا أَىَّ عُذْرٍ لاعْتِزَالِكْ
يا أُمَّنا لا تَفْزَعِى مِنْ سَطْوَةِ السُّلْطَانِ !!... ؛ أَيَّةُ سَطْوَةٍ ؟!!
مَا شِئْتِ وَلِّى وَاعْزِلِى ... ؛ لا يُوْجَدُ السُّلْطَانُ إِلاَّ فى خَيَالِكْ

يَا أُمَّتى !! ؛ يا ظَبْيَةً فى الغَارِ تَسْأَلُنى وَتُلحِفُ : « هَلْ سَأَنْجُو ؟!! »
قُلْتُ : « أَنْتِ سَأَلْتِنى مِنْ أَلْفِ عَامٍ !!... ؛ إِنَّ فى هَذَا جَوَاباً عَنْ

سُؤَالِكْ !! »

يَا أُمَّتِى !!... ؛ أَدْرِى بأَنَّ المرْءَ قد يَخْشَى المهَالِكْ
لَكِنْ أُذَكِّرُكُمْ فَقَطْ فَتَذَكَّرُوا
قَدْ كَانَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ قَبْلُ وَاجْتَزْنَا بِهِ
لا شَىْءَ مِنْ هَذَا يُخِيْفُ !!... ؛ وَلا مُفَاجَأَةٌ !!... ؛ هُنَالِكْ

يَا أُمَّتِى !!... ؛ ارْتَبِكِي قَلِيلاً... ؛ إِنَّهُ أَمْرٌ طَبِيْعِىٌّ... ؛
وَقُومِى... ؛ إِنَّهُ أَمْرٌ طَبِيْعِىٌّ كَذَلِكْ .

۞ ـ قفى ساعةً يفديكِ قَوْلى وقائِلُهْ

قفى ساعةً يفديكِ قَوْلى وقائِلُهْ !!
ولا تَخْذُلِى مَنْ باتَ والـدَّهرُ خاذِلُهْ !!
أَنَا عَالِمٌ بالحُزْنِ مُنْذُ طُفُولَتى !!
رفيقى فما أُخْطِيهِ حينَ أُقَابِلُهْ !!
وإنَّ لَهُ كَفّاً إذا ما أَرَاحَها
عَلَى جَبَلٍ ما قَامَ بالكَفِّ كَاهِلُهْ !!
يُقَلِّبُنى رأساً على عَقِبٍ بها
كما أَمْسَكَتْ سَاقَ الوَلِيدِ قَوَابِلُهْ
وَيَحْمِلُنى كالصَّقْرِ يَحْمِلُ صَيْدَهُ
وَيَعْلُو به فَوْقَ السَّحابِ يُطَاوِلُهْ
فإنْ فَرَّ مِنْ مِخْلابِهِ طاحَ هَالِكاً
وإن ظَلَّ فى مِخْلابِهِ ... ؛ فَهْوَ آكِلُهْ
عَزَائى مِنَ الظُّلاَّمِ إنْ مِتُّ قَبْلَهُمْ
عُمُومُ المنايا !! ... ؛ مَا لها مَنْ تُجَامِلُهْ
إذا أَقْصَدَ الموتُ القَتِيلَ فإنَّهُ
كَذَلِكَ مَا يَنْجُو مِنَ الموْتِ قاتِلُهْ
فَنَحْنُ ذُنُوبُ الموتِ وَهْىَ كَثِيرَةٌ

وَهُمْ حَسَنَاتُ الموْتِ حِينَ تُسَائِلُهْ
يَقُومُ بها يَوْمَ الحِسابِ مُدَافِعاً
يَرُدُّ بها ذَمَّامَهُ وَيُجَادِلُهْ
وَلكنَّ قَتْلَىً فى بلادى كريمةً
سَتُبْقِيهِ مَفْقُودَ الجَوابِ يحاوِلُهْ
ترى الطفلَ مِنْ تحت الجدارِ مُنادياً
أبى لا تَخَفْ والموتُ يَهْطُلُ وابِلُهْ
وَوَالِدُهُ رُعْباً يُشِيرُ بكَفِّهِ
وَتَعْجَزُ عَنْ رَدِّ الرَّصَاصِ أَنَامِلُهْ
أَرَى ابْنَ جَمَالٍ لم يُفِدْهُ جَمَالُهُ
وَمُنْذُ مَتَى تَحْمِى القَتِيلَ شَمَائِلُهْ ؟!!
عَلَى نَشْرَةِ الأخْبارِ فى كلِّ لَيْلَةٍ
نَرَى مَوْتَنَا تَعْلُو وَتَهْوِى مَعَاوِلُهْ
أَرَى الموْتَ لا يَرْضَى سِوانا فَرِيْسَةً !!
كَأَنَّا لَعَمْرِى أَهْلُهُ وَقَبَائِلُهْ !!
لَنَا يَنْسجُ الأَكْفَانَ فى كُلِّ لَيْلَةٍ
لِخَمْسِينَ عَاماً مَا تَكَلُّ مَغَازِلُهْ !!
وَقَتْلَى عَلَى شَطِّ العِرَاقِ كَأَنَّهُمْ

نُقُوشُ بِسَاطٍ دَقَّقَ الرَّسْمَ غَازِلُهْ
يُصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُوطَأُ بَعْدَها
وَيَحْرِفُ عُنْهُ عَيْنَهُ مُتَنَاوِلُهْ
إِذَا ما أَضَعْنَا شَامَها وَعِراقَها
فَتِلْكَ مِنَ البَيْتِ الحَرَامِ مَدَاخِلُهْ
أَرَى الدَّهْرَ لا يَرْضَى بِنَا حُلَفَاءَهُ
وَلَسْنَا مُطِيقِيهِ عَدُوًّا نُصَاوِلُهْ
فَهَلْ ثَمَّ مِنْ جِيلٍ سَيُقْبِلُ أَوْ مَضَى يُبَادِلُنَا أَعْمَارَنا وَنُبَادِلُهْ ؟!!

۞ - إلى السيد حسن نصر الله

فى انقطاعِ الكهرباءْ
تحتَ القصفْ
وحدى فى البيتْ
كنتُ ما أزالُ أُحاولُ وصفَ الديارْ
خَطُّ الأُفقِ مُتعرِّجٌ من حُطام المبانى
والدخان دعاء عابسْ
ديارٌ ببيروتٍ وأُخرى ببغدادٍ عيىٌّ بها النَّاعى عيىٌّ بها الشَّادى
لقد كُنتُ أبكى فى طُلُولٍ لأجدادى ... ؛ فأصبحت أبكى فى طُلُولٍ لأحفادى !!
.....
امتدت يدٌ من ورائى !!... ؛
تَعَدَّتْ أربعةَ عَشْرَ قرناً !!... ؛
رَبَتَت عَلَى كَتِفِى !!... :
لاتَخَفْ !!... ؛ لستَ وحدَك !!... ؛ ما دُمنا معك فلن تَنْقَطِعْ
.....
والتفتُّ فإذا بهم جميعاً هُنا !!
سُكَّانُ الكُتُب !!

أَئِمَّةٌ وحُدَاةٌ وشُعراء
كيميائيونَ وأطبَّاءُ ومُنَجِّمُون
وخيلٌ تَمْلأُ البيتَ وتفيضُ على الشَّارع
وتخوضُ عِدَّةَ أميالٍ فى البحر
.....
وسْطَهم على شاشةِ الفضائيَّه
نَظَرْتُ إليه
أميرُ المؤمنينَ بعمامةٍ سوداء
علامةُ نَسَبِهِ للحُسَينِ بنِ عَلىٍّ بنِ أبى طالبْ
ثُمَّ إنَّ العربَ إذا طلبت الثأرَ تَعَمَّمَتْ بالسَّوادْ
ثم إنَّهُ لَفَّ الليلَ عَلَى رأسِهِ وأصبحْ
ثم إنَّهُ ذَكَّرَنى ... ؛
وكُنْتُ قد نَسِيتُ ... ؛
أننى ذو كرامةٍ على الله
مِنْ آلِ بيتِ الرَّسُولِ يا حَسَنُ ... ؛ مَن لَو وَزَنْتَ الدُّنيا بهم ... ؛ وَزَنُوا
جُزِيتَ خيراً عن أُمَّةٍ وَهَنَت ... ؛ فَقُلْتَ لا بأسَ ... ؛ ما بكم وَهَنُ
لِيَذْكُرَ الصُّبْحُ أَنَّهُ نَفَسٌ ... ؛ وَيَذْكُرَ الليلُ أَنَّهُ سَكَنُ
وَيَذْكُرَ الرُّوحُ أَنَّهُ جَسَدٌ ... ؛ وَيَذْكُرَ السِرُّ أَنَّهُ عَلَنُ
وَيَذْكُرَ الطِّينُ أَنَّهُ بَشَرٌ ... ؛ تَذَكُّراً قد يشوبُهُ الشَّجَنُ

وأَنَّه ربما اْشْتَهَى فَرَحَاً ... ؛ وربما لا يَروقُهُ الحَزَنُ
وربما لا يَوَدُّ عِيشةَ مَن ... ؛ أنفاسُهُ مِن أعدائِهِ مِنَنُ
وأَنَّهُ في قتالهم رَجُلٌ ... ؛ وأنه في جِدَالِهم لَسِنُ
وقد يُجِنُّ الجنانُ من رَجُلٍ ... ؛ فى الحَرْبِ ما لا تُجِنُّهُ الجُنَنُ
خليفةَ اللهِ بأسْمِكَ انتشروا ... ؛ خَلقاً جَديداً من بعدِ ما دُفِنُوا
إنَّا أَعَرْنا الأميرَ أنْفُسَنا ... ؛ وَهْوَ عَليها ... ؛ فى الكَرْبِ ... ؛ مُؤْتَمَنُ

.....

وامتدَّت اليدُ إلى السَّماء ؛
مُتَعَدِّيَةً أربعة عشر قرناً ؛
ونَزَعَتِ الليلَ عنها برفقْ
نَزْعَكَ الضِّمادَ أو اللثامْ
فإذا تحته ليلٌ آخرْ
فَنَزَعَتْهُ أيضاً
وهكذا ليلاً بعد ليلْ ؛
كأنها تَقْلِبُ صَفَحَاتٍ فى كتابْ
وكُلَّما قَلَبَت صَفْحَةً منه
: شَفَّت الصفحاتُ الباقيةُ عن كلامٍ ما !!
ألا تَرَى النُّبوءة
سلاحهم يَهوِى

وسلاحُنا يَصعدْ

.....

نما لبلابٌ على الصاروخ ؛

والتفَّ عليه حتَّى كَسَاه

ثُمَّ أزهرْ

صاح وَلَدٌ ... ؛ الله أكبر

وهوى سقفُ إسرائيلْ

دخلوا إلى الملاجئ ؛

كالتُّرابِ تحتَ البِسَاط

أصلُ الإنسان تُرابْ

ولكنَّ فرعَه السَّماءْ

وثمارُه سُكَّانُها

راقبتُ الفضائيات وتَذَكَّرتُ ؛

إنَّ الله ـ رغم كُلِّ شئٍ ـ حقيقةٌ علميَّهْ

.....

فى انقطاع الكهرباء

تحتَ القصفْ

لستُ وحدى

وإن الليلَ أسودُ كالتمرْ

كُلُّ ليلةٍ تَمْرة ؛

ومازالت اليد ؛
تقطفها تَمْرةً تَمْرةً
وليلةً ليلةً
وإنه ليس بينى وبين الجنَّةِ إلاَّ هذه التَّمْراتْ
وامتدَّت يدٌ
مُتَعَدِّيَةً أربعةَ عَشْرَ قرناً
فصافَحَتْنى
وبايَعْتُها
وكنتُ ما أزال أُحاولُ وصفَ الديار
وأنقل القصيدة من القافية المكسورة :
إلى القافية المرفوعة
.....

ديارٌ تَغَلاَّها من الدِّهرِ ناقدُ ... ؛ تَجَفَّلُ عنها كالنَّعامِ الشدائِدُ
ديارٌ يَبيتُ الدَّهرُ جَرْوَاً ببابها ... ؛ تُلاعِبُهُ عِنْدَ الصباحِ الولائِدُ
وغيمٌ كطيَّاراتِ طفلٍ يَشُدُّها ... ؛ بِخَيْطٍ فَيُدْنى بينَها وَيُبَاعِدُ
يَظَلَّ عليها عاكفاً مِثْلَ مُحْرِمٍ ... ؛ يَرَى نَفْسَهُ مِنْ مَكَّةٍ وَهْوَ وَافِدُ
وتُنْقَشُ فى جُدْرانها كلُّ آيةٍ ... ؛ فتَرْتَدُّ فى نحرِ الليالى المكايدُ
ومِن حَولِها الخيلُ العِتاق تجمَّعَتْ ... ؛ بِلا لُجُمٍ مُسْتَأْنَسَاتٌ أَوَابِدُ
خُيولٌ أطاعت راكِبيها محبَّةً ... ؛ وَلَيْسَ لها حتَّى القِيَامَةِ قائِدُ

وَلَيْسَتْ بأطلالٍ ولَسْتُ بِشَاعِرٍ ... ؛ ولكنَّنى فيها لأهلِىَ رائِدُ

۞ ـ أَيُّهَا النَّاس !!

أيها الناس أنتم الأمراءُ ... ؛ بكم الأرض والسَّماء سواءُ
يا نجُوماً تمشى على قدميها ... ؛ كُلَّما أظلم الزَّمانُ أضاؤا
قد علا فى أرض الإمارات صوتى ... ؛ قد علا فى شرق الجزيرة صوتى
ما بى المالُ ؛ لا ! ؛ ولا الأسماء بُغيتى ؛ أمركم يُرَدُّ إليكم ؛ فلكم فيه بيعةٌ وبراءُ
لا يحَـُل بينكم وبين هواكم ... ؛ عند إبرام أمركم وكـلاءُ
ثُمَّ إنِّى أحكى حكايةَ قومٍ ... ؛ لغة الله خبزهم والماءُ
وخُطاهم فى الأرض ترسم شعراً ... ؛ هذَّبته السَّرَّاءُ والضَّرَّاءُ
فإذا ما قُلنا القصيد فإنا للذى يكتبونه قُرَّاءُ
وإذا ما سُئلت من شاعر القوم غداً قُلت أهلىَ الشُّعراءُ
وإذا ما سُئلت من شاعر القوم غداً قُلت أنتم الشُّعراءُ
وأرى أبلغ القصيدِ جميعاً ... ؛ أننا فى زماننا ... ؛ أحياءُ

۞ ـ معين الدمع لن يبقى معينا

مَعِينُ الدَّمع لن يبقى مُعِينا
فمن أىِّ المصائب تدمعينا ؟!!
زمانٌ هَوَّنَ الأحرار مِنَّا
فُدِيتِ ... ؛ وَحَكَّمَ الأنذال فينا
ملأنا البَرَّ من قتلىً كِرامٍ
على غير الإهانةِ صابرينا
كأنهمُ أتوا سُوق المنايا
فصاروا ينظرون وينتقونا !!
لَو أنَّ الدهر يعرف حقَّ قومٍ
لقبَّلَ منهمُ اليدَ والجبينا !!
عرفنا الدهر فى حاليه حتَّى
تعوَّدناهما شَدَّاً ... ؛ وَلِينَا
فما رَدَّ الرثاءُ لنا قتيلاً
ولا فَكَّ الرجاءُ لنا سجينا
سنبحث عن شهيدٍ فى قِمَاطٍ
نُبايعه أمير المؤمنينا !!

ونحمله على هَامِ الرزايا
لدهرٍ نشتهيه ... ؛ ويشتهينا
فإن الحَـقَّ مُشتاقٌ إلى أن
يرى بعض الجبابر ساجدينا

۞ ـ نفسى الفداء لكل منتصر حزين

نفسى الفداءُ لِكُلِّ مُنتصرٍ حزين
قتل الذين يُحبُّهم ؛
إذ كان يحمى الآخرين
يحمى بشبرٍ تحت كعبيه اتزان العقلِ
معنى العدلِ فى الدُّنيا على إطلاقهِ
يحمى البرايا أجمعين
حتى مماليك البلاد القاعدين
الحرب واعظةٌ تُنادينا
لقد سَلِمَ المُقاتل
والذين بدورهم قُتِلُوا
نعم ... ؛ هذا قضاء الله لكن
ربما سَلِمُوا إذا كان الجميع مُقاتلين
نفسى فداءٌ للرجال مُلثَّمين
إذ يُطلقون سلاحهم مثل الدعاء يطير من أدنى لأعلى
مثل تاريخٍ هُنا ... ؛ يُملى ... ؛ فيُتلى
حاصرونا كيفما شئتم
فإن الخُبز والتاريخ يُصنع هاهُنا تحت الحصار !!

نفسى فداءٌ للشموس تسير فى الأنفاق تحت الأرض من دارٍ ... ؛ لِدار
حيث الصباح غدا هُنا يهرب من يدٍ ليدٍ
بديلاً عن صباح خرَّبته طائرات الظالمين
نفسى فداءٌ للسماء قنابل الفسفور تملؤها كشعر الغول
ألف أفعى بيضاء نحو الأرض تسعى
والسماء تريد أن تنقضَّ كالمبنى القديم
فنرفع الأيدى لنعدل ميلها ... ؛
وتكاد أن تنهار لولا ما توفَّر من أكُفِّ الطيِّبين
يا أهل غَزَّةَ ما عليكم بعدها ؟!!
واللهِ لولاكم لما بقيت سماءٌ ما تظل العالمين !!
نفسى الفداءُ لعرق زيتونٍ من البلد الأمين
أضحى يُقلِّص ظِلَّهُ ؛ كالشيخ يجمع ثوبه لو صادفته
بِرْكَةٌ فى الدَّربِ حتى لا يمر مُجَنَّدٌ من تحتهِ
ويقول إن كسرته دبابتهم فى زحفها نحو المدينةِ :
لا يُهم !! ؛ على الأقلِّ فإنهم لن يستظلُّوا بى
وتلك نُبُوءةٌ قد كان يفهمها الغُزاة من القُرون
السابقين
هذى بلاد الشام
كيف تقوم فيها دولةٌ رَبَّت عداوتها مع

الزيتون يا حمقى !!
ولكن عُذركم معكم !!... ؛ فأنتم بعدُ
مازلتم غُـزاةً مُحـدثين !!
قسماً بشيبى لن يطـول يقاؤكم
فالظِّلُّ يأنفُ أن تمروا تحتـهُ
والأرض تأنفُ أن تمـروا فـوقها
والله سمَّاكم قديماً فى بلادى عابرين
نفسى فـداءٌ للرجال المسعفين
المُنحنين على الرُّكام ولم يكونوا مُنحنين
الراكضين إلى المنازل باحثين عن الأنين
حيث الأنين علامة الأحياء يُصبح نادراً
حيث الحياة تصير حقّاً لا مجازاً خاتماً فى التُّرْبِ
تظهرُ ؛ يُرهفون السَّمعَ رغمَ القصفِ ؛
تخفى مرَّةً أُخرى وتظهرُ ؛
يرفعون الرَّدمَ ... ؛ لا أحدٌ هُنا ؛
تبدو يدٌ أو ما يُشابهها هُناكَ ؛
ويُخرجون الجسمَ رغم تشابه الألـوانِ
بين الرمل والإنسانِ
كالذكرى من النسيانِ

كالمعنى من الهذيانِ
تطلع أُمَّةٌ وكأنما هى فكرةٌ منسيَّةٌ
يا دهر فلتتذكر الموتى ؛
هُنالك سبعةٌ فى الطابق الثانى
ثمانيةٌ بباب الدارِ ؛
أربعةٌ من الأطفال ماتت أُمهم وبقوا
لأيَّامٍ بلا ماءٍ ... ؛ ولا مأوى
ولا صوتٍ ... ؛ ولا جدوى
فقُل للموتِ ؛ يا هذا !!... ؛ استعد فإنهم
واللهِ لن يأتوك أطفالاً ؛ ولكن
كالشيوخ تجاربـاً ومرارةً
حَضِّر دفاعك فالقُضاةُ
مُضرَّجين بحُكمهم
قدموا عليك مُسائلين
وهُناك وجهٌ بينهم يأتى عليه هالةٌ رمليَّةٌ ؛
طفلٌ يصيح بموته : قُم وانفض الأنقاض عنِّى
ولتُعنى ... : أن أقول لقاتلى الغضبان منِّى
إنَّنى قد مِتُّ حقّاً ؛ لا مجازاً ... ؛ غير أنِّى
لم يزل لى منبرٌ فوق الأكُفِّ وخطبةٌ لا تنتهى

يا دولةً قامت على أجسادنا : لا تطمئنى !!
واعلمى ما تفعلين !!
ولتقرئى يوم القيامة واضحاً فى أوجه المستشهدين
نفسى الفداءُ لأُسرةٍ جمع الجنود رجالها ونساءها
فى غُرفةٍ ... ؛ قالوا لهم : أنتم هُنا فى مأمنٍ من
شرِّنا ... ؛ ومضوا !!... ؛ ليأمر ضابطٌ منهم بقصف
البيت عن بُعدٍ ... ؛ ويأمر بعدها جرَّافتين بأن تُسوِّى
ما تبقَّى بالتُّراب . !!... ؛ لعل طفلاً لم يمت فى الضربة
الأُولى !!... ؛ ويأمر بعد ذلك أن تسير مُجنزرات الجيشِ
فى بُطءٍ على جُثثِ الجميع !!... ؛ يريد أن يتأكَّد الجُندىُّ
أن القوم موتى !!... ؛ ربما قاموا !!... ؛ يُحدِّث نفسه فى الليلِ
يرجع مرَّةً أُخرى لنفس البيتِ !!... ؛ يقصفه !!... ؛ ويُقنع
نفسه : ماتوا !!... ؛ بِكُلِّ طريقةٍ ماتوا !!... ؛ ويسأل نفسه :
لكن ألم أقتلهمو من قبل ؟!! ؛ من ستِّين عاماً ؛ نفس هذا القتل ؟!! ؛
نفس مراحل التنفيذ ؟!!... ؛
لست أظنُّهم ماتوا !!... ؛
ويطلبُ طلعةً أُخرى
من الطيران تنصره على الموتى
ويرفع شارةً للنصر مُبتسماً إلى العدساتِ

مُنسحباً ... ؛ سعيداً أن طفلاً من أولئك لم
يقُم من تحت أنقاض المبانى كى يُكدِّرهُ
ويسأل نفسه فى الليل !!... : ما زال احتمالاً قائماً
أن يرجعوا !!... ؛ فيُضىء ليلته بأنواع القنابل !!... ؛
سائلاً قطع الظلام عن الرُّكام وأهلهِ
ماذا ترين وتسمعين
فتُجيبهُ
لم ألق إلاَّ قاتلاً قلقاً !!... ؛ وقتلى هادئين !!
نفسى فداءٌ للصغار الساهرين
عطشاً وجُوعاً من حصار الأقربين الآكلين الشاربين
المالكين النيل والوادى وما والاهما ملك اليمين
الشائبين الصابغين رؤوسهم فمُعمِّرين
من أين يأتيكم شُعُورٌ أنكم سَتُعَمِّرُون إلى الأبدْ ؟!!
ثقةٌ لعمرى لم أجدها فى أحدْ !!
عيشوا كما شئتم ليومٍ أو لغدْ
لكننى صدقاً أقُول لكم
فقط من أجل منظركم !!... ؛ وهيبتكم !!... ؛
إذا سرتم غداً فى شاشة التلفازِ
سيروا ... ؛ صاغرين

نفسى فـداءٌ للصغار النائمين
بمرٍّ مُستشفىً على برد البلاط بلا سرير ؛ خمسةٌ
أو ستَّةٌ مُتجاورين !!... ؛ فى صوف بطانيَّةٍ فيها الـدِّماءُ
مُكفَّنين
قُل للعـدوِّ : أراك أحمق ما تـزالْ !!... ؛
فالآن فاوضهم على ما شئت
واطلب منهمو وقف القتـالْ
يا قائـد النَّفـر الغُـزاة إلى الجديلـه
أو إلى العين الكحيلـه
من سنين ... ؛ أدرى بأنك لا تخاف الطفل حيَّاً
إنما أدعوك صدقاً : أن تخاف من الصغار الميِّتين !!

۞ - بيانٌ عسكرىٌّ

إذا ارتاح الطُّغاة إلى الهوانِ
فذكِّرهم بأنَّ الموتَ دانِ
ومن صُدَفٍ بقاءُ المرءِ حَيَّاً
على مرِّ الدَّقائقِ والثوانى
وجُثَّة طِفْلَةٍ بمرٍّ مَشْفَىً
لها فى العُمر سبعٌ أو ثمانِ
أراها وهى فى الأكفان تعلو
ملاكاً فى السَّماء على حِصانِ
على بَرْدِ البلاطِ بلا سريرٍ
وإلا تحتَ أنقاضِ المبانى
كأنَّكِ قُلْتِ لى يا بنتُ شيئاً
عزيزاً لا يُفَسَّر باللسانِ !!
عن الدُّنيا وما فيها وعنِّى
وعن معنى المخافةِ والأمانِ
فَدَيْتُكِ آيةً نَزَلَت حَدِيثاً
بخيطِ دَمٍ عَلَى حِدَقٍ حِسَانِ

فنادِ المانعينَ الخُبزَ عنها
ومن سَمَحُوا بِهِ بَعْدَ الأوانِ
وَهَنِّئْهُم بِفِرْعَوْنٍ سَمِينٍ
كَثِيرِ الجيشِ مَعمورِ المغانى
له لا للبرايا النيلُ يجرى
له البستانُ والثَمَرُ الدَّوانى
وَقُل لمفرِّقِ البَحرَيْنِ مهما
حَجَرْتَ عليهما فَسَيَرْجِعَانِ
وإن راهنتَ أن الثأر يُنسى
فإنَّكَ سوفَ تخسرُ فى الرِّهانِ
نحاصَرُ من أخٍ أو من عدوٍّ
سَنَغْلِبُ ؛ وحدَنا ؛ وَسَيَنْدَمَانِ
سَنَغْلِبُ والذى جَعَلَ المنايا
بها أَنَفٌ مِنَ الرَّجُلِ الجبانِ
بَقِيَّةُ كُلِّ سَيْفٍ ؛ كَثَّرَتْنا
مَنَايانا على مَرِّ الزَّمَانِ
كأنَّ الموت قابلةٌ عجوزٌ
تزور القوم من آنٍ لآنِ
نموتُ فيكثرُ الأشرافُ فينا

وتختلطُ التعازى بالتهانى
كأنَّ الموتَ للأشرافِ أُمٌّ
مُشَبَّهَةُ القَسَاوَةِ بالحنانِ
لذلك ليس يُذكَرُ فى المراثى
وهو يُذكَرُ فى الأغانى
سَنَغْلِبُ والذى رَفَعَ الضحايا
مِنَ الأنقاضِ رأساً للجنانِ
رماديِّونَ كالأنقاضِ شُعْثٌ
تُحَدِّدُهم خُيوطُ الأرْجُوَانِ
يَدٌ لِيَدٍ تُسَلِّمُهم فَتَبْدُو
سَماءُ اللهِ تَحمِلُها يدانِ
يدٌ لِيَدٍ كَمِعراجٍ طَوِيلٍ
إلى بابِ الكريمِ المُستعانِ
يَدٌ لِيَدٍ ؛ وَتَحتَ القَصْفِ ؛ فَاقْرَأْ
هُنالكَ ما تشاءُ من المعانى
صلاةُ جَمَاعَةٍ فى شِبْرِ أَرضٍ
وطائرةٌ تُحَوِّم فى المكانِ
تُنادى ذلك الجَمْعَ المُصلِّى
لكَ الوَيْلاتُ ما لَكَ لا ترانى ؟!!

فَيُمْعِنُ فى تَجَاهُلِها فَتَرمِى
قَنَابِلَها فَتَغْرَقُ فى الدُّخانِ
وَتُقْلِعُ عَنْ تَشَهُّدِ مَنْ يُصَلِّى
وَعَنْ شَرَفٍ جَدِيدٍ فى الأَذَانِ
نُقاتلهم على عَطَشٍ وجُوعٍ
وخذلان الأقاصى والأدانى
نُقاتلهم وَظُلْمُ بنى أبينا
نُعانِيه كَأَنَّا لا نُعانى
نُقَاتِلُهم كَأَنَّ اليَوْمَ يَوْمٌ
وَحِيدٌ ما لَهُ فى الدَّهرِ ثَانِ
بِأَيْدِينا لهذا اللَّيْلِ صُبْحٌ
وشَمْسٌ لا تَفِرُّ مِنَ البَنَانِ

بيانٌ عسكرىٌّ ... ؛ فاقرأوه ... ؛ فقد ختم النَّبِىُّ على البيانِ :
يقولون فى نشرة العاشرةْ
إن جيشاً يُحاصر غـزَّة والقاهرةْ
يقولون طائرةٌ قصفت منزلاً
وسط منطقةٍ عامرةْ
فأُضيف أنا :
لن يمر زمانٌ طويلٌ على الحاضرينْ

لكى يَرَوُا المسلمين وأهل الكرامة من كُلِّ دينْ
يُعيدون عيسى المسيحَ ... ؛ إلى النَّاصرةْ
والنَّبِىَّ إلى القُدسِ ... ؛ يهدى البُرَاق فواكه من زرعنا
ويُطوِّقه بدمشقٍ من الياسمينْ
يقولون جيشٌ يهاجم غزَّة من محورينْ
يقولون تجرى المعارك بين رضيعٍ ... ؛ ودبَّابتينْ !!
فأقُول أنا :
سوف تجرى المعارك فى كُلِّ صدرٍ وفى كُلِّ عينْ
وقد تقصف المدفعيَّةُ فى وجه ربِّك ما تدَّعى من كذبْ
ويقول العدو لنا : فليكن ما يكونْ
فنقول له : فليكن ما يجبْ
بياناتنا العسكريَّة مكتوبةٌ فى الجبينْ
لم تكن حكمةٌ أيُّها الموت أن تقتربْ !!
لم تكن حكمةٌ أن تحاصرنا كُلَّ هذى السِّنينْ !!
لم تكن حكمةٌ أن تُرابط بالقُرب مِنَّا إلى هذه الدرجةْ !!
قد رأيناك حتى حفظنا ملامح وجهكَ
عاداتِ أكلكَ
أوقاتَ نومكَ
حالاتِك العصبيَّةَ

شهواتِ قلبكَ

حتى مواضع ضعفكَ ... ؛ نعرفها

أيُّها الموت فاحذرْ

ولا تطمئن لأنك أحصيتنا

نحن يا موت أكثرْ

ونحن هُنا ؛

بعد ستِّين عاماً من الغزوِ ؛

تبقى قناديلنا مُسرجةْ

بعد ألفى سنةْ

من ذهاب المسيح إلى الثالث الإبتدائىِّ فى أرضنا ؛

قد عرفناك يا موت معرفةً تُتعبُكْ

أيُّها الموت نيتنا مُعلنةْ

إننا نغلبُكْ

وإن قتلونا هُنا أجمعينْ

أيها الموت خِف أنت !!

نحن هُنا !!... ؛ لم نعد خائفين .

۞ - إن سارَ أهلى فالدَّهر يتَّبعُ

إن سارَ أهلى ... ؛ فالدَّهرُ يتَّبعُ ... ؛ يشهد أحوالهم ؛ ويستمعُ
يأخذ عنهم فنَّ البقاء فقد ... ؛ زادوا عليه الكثير ؛ وابتدعوا
وكُلَّما همَّ أن يقول لهُم ... ؛ بأنّهم مَهزومونَ ... ؛ ما اقتَنعوا
يسيرُ إن ساروا فى مُظاهرةٍ ... ؛ فى الخلفِ ... ؛ فيه الفضولُ ... ؛ والجزعُ
يكتبُ فى دفترِ طريقتهم ... ؛ لعلَّهُ فى الدُّروسِ يَنتفعُ
لو صادَفَ الجمعُ الجيشَ يقصدُهُ ... ؛ فإنَّهُ نَحوَ الجيشِ يندفعُ
فيرجع الجُّندُ خطوَتَينِ فَقَط ... ؛ ولكِنْ القَصْدُ أنّهُم ... ؛ رَجعوا !!
أرضٌ أُعيدت ... ؛ ولو لثانيةٍ ... ؛ والقوم عُزلٌ ... ؛ والجيش مُدَّرعُ !!
ويصبح الغاز فوقهم قطعاً ... ؛ أو السَّما فوقه هىَ القطعُ
وتطلب الريح وهى نادرةٌ ... ؛ ليست بماءٍ ... ؛ لكنَّها جُرعُ
ثم تراهم من تحتها انتشروا ... ؛ كزئبقٍ فى الدُّخان يلتمعُ
لكى يُضلِّوا الرصاص بينهمُ ... ؛ تكاد منه السُّقوف تنخلعُ
حتى تجلَّت عنهم وأوجهُهُم زهرٌ ووجه الزَّمان مُنتقعُ
كأنَّ شمساً أعطت لهم عِدَةً ... ؛ أن يطلع الصبح حيث ما طلعوا
تعرفُ أَسماءُهُم بِأعيُنِهِم ... ؛ تنكَّرُوا باللِّثامِ أو خَلعوا
ودار مقلاعُ الطِّفل فى يدهِ ... ؛ دَورةَ صُوفىٍّ مسَّهُ وَلَعُ

يُعلِّم الدَّهرَ أن يدور على ... ؛ من ظنَّ أَن القوىَّ يمتنعُ
وكُلُّ طفلٍ فى كفِّهِ حجرٌ مُلخَّصٌ فيه السهل واليفعُ
جبالهم فى الأيدى مُفرَّقةٌ ... ؛ وأمرهم فى الجبال مُجتمعُ
يأتون من كل قريةٍ زُمراً ... ؛ إلى طريقٍ للهِ ترتفعُ
تضيق بالناس الطُّرْقُ إن كثروا ... ؛ وهذه بالزِّحام تتَّسعُ !!
إذا رأوها أمامهم فرحوا ... ؛ ولم يُبالوا بأنها وجعُ
يُبدون للموت أنه عبثٌ ... ؛ حتى لقد كاد الموت ينخدعُ !!
يقول للقوم وهو مُعتذرٌ ... : ما بيدى ما آتى وما أدعُ !!
يظلُّ مُستغفراً كذى ورعٍ ... ؛ ولم يكن من صفاته الورعُ !!
لو كان للموت أمره لغدت ... ؛ على سوانا طيوره تقعُ
أعداؤنا خوفهم لهم مَددٌ ... ؛ لو لم يخافوا الأقوام لانقطعوا !!
فخوفهم دينهم وديدنهم ... ؛ عليه من قبل يُولدوا طُبِعُوا !!
قُل للعدا بعد كُلِّ معركةٍ ... ؛ جنودكم بالسلاح ما صنعوا ؟!!
لقد عرفنا الغُزاة قبلكمُ ... ؛ ونُشهد الله فيكمُ البدعُ !!
ستُّون عاماً وما بكم خجلٌ !!... ؛ الموت فينا !!... ؛ وفيكم الفزعُ !!
أخزاكم الله فى الغُزاة فما !!... ؛ رأى الورى مثلكم ولا سمعوا !!
حين الشعوب انتقت أعاديها ... ؛ لم نشهد القرعة التى اقترعوا !!
لستم بأكفائنا لنكرهكم ... ؛ وفى عداء الوضيع ما يضعُ

لم نلق من قبلكم وإن كثروا ... ؛ قوماً غُزاةً إذا غزوا ... ؛ هلعوا !!
ونحن من هاهُنا قد اختلفت ... ؛ قِدماً علينا الأقوام والشِّيعُ
سيروا بها وانظروا مساجدها ... ؛ أعمامها أو أخوالها البِيعُ
قومى ترى الطير فى منازلهم ... ؛ تسير بالشِّرعة التى شرعوا
لم تُنبت الأرضُ القومَ بل نبتت ... ؛ منهم بما شيَّدوا وما زرعوا
كأنهم من غيومها انهمروا !!... ؛ كأنهم من كُهوفها نبعوا
والدهر لو سار القوم يتَّبعُ ... ؛ يشهد أحوالهم ويستمعُ
يأخذ عنهم فنَّ البقاء فقد ... ؛ زادوا عليه الكثير وابتدعوا
وكُلَّما همَّ أن يقول لهم ... : بأنهم مهزومونَ ... ؛ ما اقتنعوا !!

۞ ـ حَدِيثُ الكِسَاء

حديث كساء النَّبِىِّ الذى سوف أكتب عنهُ
حديثٌ عن الوحدة الوطنيَّةِ ... ؛ والعافيه
وسأبدأ قولى بنثرٍ ... ؛
أُضيفُ له الوزنَ ... ؛ والقافيه
ومن بعده سوف أُنشدَ شعراً
بلا حلية الوزنِ
يحسب نُقَّادهُ خطأً
أن ما فيه من صُورٍ
حليةٌ كافيه
وبعدهما سأوحِّدُ بينهما
حيث أن القصيدة عن وحدة الناس فى بلدى
ولأنِّى أرى وحدة المذهبين على مذهبٍ
لُغةً عاليه
حديث الكساء حديثٌ قصير
مُؤدَّاه أن النَّبِىَّ دعا حسناً وحُسيناً وفاطمة وعليَّاً
وضم عليهم كساءٌ من الشَّعر
ثُمَّ دعا الله أن يُذهب الرِّجْسَ عنهم

فأنزل رَبُّكَ آيةَ ... ؛ تطهيرهم
هكذا وردت فى مراجع أهل الحديث من الفرقتين
حديث الكساء حديثٌ جميل
ولست أُبالى إذا اختلف الناس من بعد ذلك
فى الأثر الطائفىِّ لذكرى له
بل وإنِّى لمن أجل هذا خصوصاً ذكرت الحديث
لقد نظر الناس فى أثر الضَّمِّ
هل فيه رمزٌ لعصمة من كان تحت الكساء ؟
أم القصد تكريمهم دون توصيةٍ بالإمامة بعد الرَّسُول ؟
ولكن أنا
ولأنِّى من الشُّعراء ولست من الفُقهاء
ولا أبتغى أن أُحوِّلَ هذه القصيدةَ ... ؛ درساً فى علم
الأصول :
أقُول ... ؛ وأجرى على الله فيما أقُول :
بأنى سأُدخِل فيه الذين أبوا أن يذلُّوا لغازٍ أتاهم
وأُخرِج منه الذين على العكس منهم ... ؛ أباحوا لحاهم
فمن رَدَّ كيد اليهود بلبُنان عندى
سيدخل تحت الكساء
ومن رَدَّ كيد التحالف عن شارعٍ فى العراق

سيدخل تحت الكساء

وإن كان هذا على مذهب لا يُوافق ذاك

فإنى أرى تلك موعظةٌ لو تفكَّر أهل العُقُول

وهذا خُلاصة نثرى

فإن تُرد الآن أن تسمع الشعر ... ؛ فاسمع :

أقول :

دُخانٌ كثيفٌ

يوزن بالأطنانِ

يعبُر الخرائطَ

إن ترفع يدك لا تراها

والناس يصدم بعضهم بعضاً كسيارات الملاهى

فان تتبَّعتَ الدُّخان إلى مصدره

وصلت إلى غليون القيصر

شبكةٌ من النُّور تلُقى لتنتشلهم

يسقطون من خلالها واحداً واحداً

فتعود إلى ربِّها

كَيَدِ طفلٍ يحاول نقل البحر بأصابعه

إلى دلوه الصغير

كتب النحو والفلسفة والرياضيَّات

تتبرَّع لجدران المساجد والكنائس كُلٌّ بسطرٍ أو اثنين
تتصل السطور وتتلوى
فى تكويناتٍ نباتيَّـةٍ مُتشابكةٍ على المحراب والمذبح
المحراب ينمو
إلى أن تحتكر فروع نباتاته
توزيع الشمس والظل
بين محيطين وسبعة أبحر
ثم لا يلبث المحراب أن يجد من ينسفه
قباب تشتعل
المؤمنون
أكثر الناس حرصاً على إحراق المساجد
والكُفَّار
أكثر الناس حرصاً على المشاهدة والترميم
أو الترميم أولاً
أى : ... ؛ قبل الإحراق
تجتمع الكُتُبُ سِرًّا
وتتبرَّع مرَّةً أُخرى
كُلٌّ بسطرٍ أو اثنين
وتتصل السُّطُور لتصبح ساق نباتٍ طويل

يلتفُّ على الحُطَام ويحُاول عاجزاً أن يُزهر
تستمر القِبَاب فى الاشتعال
والكُتُبُ فى التبرُّع
بعد فترةٍ
أصبحت القِبَابُ تشتعل ذاتيًّاً
يعنى من غيظها
أما الكتب
فأصبحت من كثرة ما تبرَّعت
بيضاء تماماً
ومن ابيضَّت كتبه
ابيضت راياته
ساعتان رمليَّتان
كُلٌّ تتهم الأُخرى بأنها مقلوبه
وتدعوها أن تعتدل مثلها
ويدٌ واضحةٌ جِدًّاً
تقلبهما معاً فى نفس اللحظةِ
ومن موقعيهما الجديدين
تستمر كُلُّ واحدةٍ منهما فى اتهام الأخرى
أربعة جيوشٍ من ورق اللعب

جيشان أحمران وجيشان أسودان

تظهر المذيعة فى نشرة الأخبار

يتقاتل الأسودان والأحمران

المذيعة تذكر خلط الأوراق

يتحالف كُلُّ جيشٍ أسودٍ مع نظيرٍ له أحمر

المذيعة مرَّةً أُخرى

تنقسم كُلُّ ورقةٍ نصفين

نصفها الأعلى أحمر والأسفل أسود

أو العكس

تزداد العداوة كُلَّما اقترب الخصم من خصمه

فما ظَنُّك بالخصمين وقد أصبحا متجاورين فى ورقةٍ واحدةٍ ؟!!

تُصاب الأوراق بالفِصَام

فتقطع كُلُّ ورقةٍ نفسها من الوسط

نهاية النشره

سلة المُهملات

على هامش الصورة

جموع المُشجِّعين

يضرب بعضهم بعضاً بالأحذية

شُيُوخ الدِّين

يبنون مساجد فى الفضاء الخارجىِّ
شُيُوخ السِّياسة
يحملون الكراسىَّ على رُؤوسهم كآلهة المصريين القُدامى
شُيُوخ الكلام ... ؛ والكلام أمرٌ عظيم
مشغولون بقصيدة النثر والكبت الجنسىِّ والاكتئاب
وأنا ... ؛ أُحاول أن أكمل هذه القصيده !!

يا كساء النَّبىِّ استمع
يا علىَّ المقام
أنت أكرم ما فى مُخَيَّمنا من خِيام
فليُقَم فيك مُستوصفٌ إن تيسَّر يأوى إليه ضعاف الأنام
يا كساء النَّبىِّ ... ؛ وبُرج الحمام
يا شريطاً من النُّور ضُمَّ على باقةٍ ... ؛ من كِرام
يا شبيه السَّماء القريبة ... ؛ وصُبح المعانى
ويا رحمة الله منسوجةً فى خياطة بُرْدٍ يمانى
وتذكرةً بالزَّمانِ العَفِىِّ
يا كساء النَّبىِّ
يا كساء النَّبىِّ !!
ارتفع رايةً عالية
لِبَنِى الجارية

للذين إذا تُرِكُوا فى المنافى ... ؛ وشُقر الموانى
فلا ماء يخرج من تحت أقدامهم
لا ... ؛ ولا وفدُ يأتى إليهم
وإن أُخذوا ليُضحَّى بهم
لا فداء لهم
يتنزَّلُ من جَنَّةٍ ما
ولا بيت تعلو قواعده فوقهم
فيجىء الحجيج إليهم بفاكهة الأربع النائية
يا كساء النَّبِىِّ !!
ارتفع رايةً عالية
لِبَنِى الجارية
يا كساء النَّبِىِّ !!
وجمِّع قبائلهم
خفِّف الموت عنهم قليلاً
وغُربتهم
فلقد أصبحوا فى البلاء سواء
وباتوا ولا فرق بين المُقيمة والجالية
يا كساء النَّبِىِّ !!
ارتفع رايةً عالية

لِبنِى الجارية
قم وأعطهم الدِّرع والسيف والرمح
واتل عليهم من الذِّكر شيئاً
وصلِّ صلاة الجماعة فيهم
وقل: حاربوا كُلَّ باغٍ قوىّ
يا كساء النَّبِىِّ !!
يا كساء النَّبِىِّ !!
اجتمع
كالضمادات ضمت إلى جرحها بُرأها
والشباك إذا انتشلت ملأها
والأُمُومة فى ضمَّة الصدر
تنشر حتى نجوم السماء دفأها
يا كساء النَّبِىِّ !!
اجتمع
فإذا ما اجتمعت اتسع
للزهور
ومن لا يحب الزُّهور ولا يشتهيها
اتسع للولاة ومن لا يليها
اتسع للحقيقة والشَّكِّ فيها

اتسع للسُّهول ... ؛ اتسع للجبال
اتسع للنِّساء ... ؛ اتسع للرجال
اتسع للعجوز ... ؛ اتسع للرضيع
يا كساء النَّبِىِّ !!
اتسع للجميع
فمن لم يكن فى الكساء مُضاعٌ
وإن كُنتُ أقرأ من قبلها
أننا ... ؛ لن نضيع
وحتى إذا ما أردنا الضلالة فعلاً
فلن ... ؛ نستطيع
وإنِّى إذا ما لمست أيادىَ أهلى
تبدَّى إلىّ
بأنِّى لمست خشونة بُـرْدِكَ بين يدىّ
وصلَّى عليك البصير السميع
يا كساء النَّبِىِّ !!

۞ ـ الحَمَامَةُ وَالعَنْكَبُوت

تقول الحمامةُ للعنكبوتِ :
أخيه !! تذكرتنى أم نسيتِ ؟!!
عشيَّة ضاقت علىَّ السَّماء
فقُلتِ على الرَّحبِ فى الغار بيتى
وفى الغار شيخانِ
لا تعلمين حَميتِهما يومها أم حُميتِ ؟!!
جليلان إن ينجوا يُصبحا أُمَّةً
ذات شملٍ جميعٍ شتيتِ
وقومٍ أتوا يطلبونهما
تقف الريح عنهمُ من الجبروتِ
أُقلِّبُ عينىَ فى القوم ما بين وجهٍ مقيتٍ
ووجهٍ مقيتِ
أتوا فارتعشتُ فقُلتِ اثبُتى !!
تُحرزى الخير يا هذه ما حييتِ
فليس بأيديهمُ أن تعيشى
وليس بأيديهمُ ... ؛ أن تموتى

سنحمى الغريبين من كُلِّ سيفٍ
بريش الحمام وأوهى البُيُوتِ
سنبنى المآذنَ فى المشرقينِ
بخيطٍ رفيعٍ وخُبزٍ فتيتِ
أنا من أتيتكِ أشكو السَّماءَ
فصرتُ أقاسمها بعض قوتى

تقول الحمامةُ للعنكبوتِ
أخيه !! تذكرتنى أم نسيتِ ؟!!
أخيةُ هل تذكرين الغريبينِ
ما فعلا بعدنا يا فُديتِ ؟!!
أخية ماذا جرى لهما ؟!! أتُرى سلما ؟!!
يا أخية هل تعلمينَ ؟!!
لقد كان فى الغار وعدٌ
بأن السماء ستنثر مثل أرُزِّ العروسِ
على العالمين
لقد كان فى الغار دُنياً
من الصين حتى بلاد الفرنجه
أسواقها ... ؛ وميادينها ... ؛ وقوافلها

وعساكرها ... ؛ صياح المُنادين
بُسط الجوامعِ ؛آى المصاحفِ
أضرحة الصالحينَ ؛نُقُوش الأوانى
وشاى الصباح يُعطَّر بالمريميَّةِ والياسمين
أخية ماذا جرى لهما ؟!!
أتُرى سلما ؟!!
يا أُخيـة هل تذكرين ؟!!
غداة أُناديك هل لكِ
أن نُدخل الغار أهلى وأهلكِ
فالغار أوسع من كُلِّ شىء
هو القدر الدائرىُّ الذى كان قبلى وقبلك
هل لك ؟!! هل لك ؟!!
ثم انهمكتِ
لكى تنسُجى للغريبينِ
ليلاً حنونا
يكون من الليل ليلاً بديلا
وقمت أُنسِّقُ عُشَّاً فسيحا
دعوت إليه الطيور قبيلا
فلتنظرى ماذا حولك ؟!!... ؛ ما تُبصرين ؟!!

أُخيـة ماذا جرى لهما ؟!!

أتُرى سلما ؟!!

يا أُخيـة ماذا جرى لأرى ما أرى

فلقد طُفت ما طُفت تحت السَّما :

لم أجد أحداً منهما !!

وكأنهما لم يكونا هُنا !!

لم يحلا !!... ؛ لم يرحلا !!

يا أُخيـة ضيفاك ما فعلا ؟!!

أو لم يصلا للمدينة أم وصلا ؟!!

يا أُخيـة ضيفاك ما فعلا ؟!!

أتُرى قُتِلا ؟!! أتُرى أُسِرَا ؟!!

أتُرى بقيا صاحبين أم انفصلا ؟!!

يا أُخيـة ضيفاك ما فعلا ؟!!

تقول الحمامةُ للعنكبوتِ

أُخيـة !!... ؛ تذكرتنى أم نسيتِ ؟!!

لقد طُفتُ كالشَّكِّ كُلَّ البلادِ

وأنتِ هُنا كاليقين بقيتِ

فلم أوتَ علمك مهما علمتُ

ولم أرقَ يوماً ... ؛ إلى ما رقيتِ

فأنت لبُنياننا كالثباتِ
وأنت لبُرهاننا كالثُّبُوتِ
أتيتُكِ أسألُ عن صاحبينا
فلا تقتلينى بهذا السُّكُوتِ !!
أراكِ أُخيـةَ لا تنطقينَ
بأىِّ الدواهى الإناء دُهِيتِ
ولودٍ عنودٍ تعودُ وتفنيكِ
وهى تخلد إن ما فنيتِ
وأعرف ما ضرَّكِ المُشركُونَ
ولكن من المؤمنين أُتيتِ

تقول الحمامةُ للعنكبوتِ
بربِّكِ يا هـذهِ !!... ؛ لا تموتى
تقول الحمامةُ لَمَّا رأت
روح حارسة الغار فاضت
وقد أصبح الغار من بعدها طللا :
تعزِّى قليلاً وخلِّى من الدمع ما هملا !!
ثُمَّ ميلى إلى كُلِّ طفلٍ وليـدِ
قُصِّى عليه الحكايـةَ قُـولى لهُ :
فى زمانٍ مضى... ؛

حلَّ فى غارنا عربيَّانِ ... ؛ وارتحلا .

۞ - الهَوى... وَالحَرْب

يَنفسى فَتىً سَهْلُ الخلائقِ طَيِّبٌ
يُمَازِحُ دَهْرَاً عابثاً لايُمازحُ
ويُكثِرُ قولَ الشِّعرِ فى الحربِ لا الهوى
لأنَّ الهوى لو قِيسَ بالحربِ جارحُ
وفى كُلِّ حربٍ ثَمَّ حقٌّ وباطِلٌ
وفى الحُبِّ لا هذا ولا ذاكَ واضحُ
فإن قالَ لا أهوى ؛ فليس بصادقٍ
وإن قال أهوى أخجلتُهُ المذابحُ
ففى فمهِ معنىً فصيحٌ وغامضٌ
وفى صدرهِ قلبٌ مُقيمٌ ونازحُ
وفى الشَّامِ أطلالٌ سوى الرِّيح داؤها
ودُورٌ عليها الموتُ غادٍ ورائحُ
خيامٌ أُقيمت فى الرُّكامِ كأنَّها
خيالٌ من الشِّعْرِ القديم يُراوحُ
فقِف عند رسمٍ ما ترحَّلَ أهلُهُ
ولكنَّهُ رسمٌ لحُزنك صالحُ

إذا كان خذلانُ الأحبَّة دأبنا

فمن عاشَ خسرانٌ ؛ ومن مات رابحُ

وإن كان هذا صُلحنا وسلامنا

فأخزى إلهى بعدها من يُصالحُ

رُؤْيَـةٌ مَنْهَجِيَّـةٌ

ـ القَصِيدَةُ الأَولَى :

۞ ـ فِى القُدْس

تَبْدَأُ هَذِهِ القَصِيدَةُ بِالشَّكْلِ التُّرَاثِىِّ ؛ وَهِىَ أَبْيَاتٌ مَعْدُودَةٌ ؛ وَعَلَى الرَّغْمِ مِن كَوْنِهَا بِهَذَا القِصَرِ النِّسْبِىِّ مِن جِهَةِ الكَمِّ ؛ إِلاَّ أَنَّهَا أَجْمَلُ وَأَبْدَعُ مَا فِى القَصِيدَةِ بِأَكْمَلِهَا ؛ وَيَتَمَثَّلُ جَمَالُهَا فِى كَوْنِهَا تَتَضَمَّنُ تَمْثِيلاً صَوْتِيًّا وَإِيقَاعِيًّا لِلْمَشْهَدِ وَالمَوْقِفِ الَّذِى جَسَّدَهُ الشَّاعِرُ وَصَوَّرَهُ بِهَذِهِ الأَبْيَات ؛ مَشْهَدُ الرَّغْبَةِ المُغْتَالَةِ وَمُحَاوَلَةِ تَسْكِينِ الحُزْنِ بِتَبْرِيرَاتٍ غَاضِبَةٍ سَرِيعَةٍ كَى لا يَمْكُثُ الأَلَمُ لَفْتَرَةٍ أَطْوَل... ؛ وَتَكْمُنُ عَبْقَرِيَّةُ الشَّاعِرِ فِى إِيجَادِ هَذَا الإِيقَاعِ النَّغَمِىِّ ؛ وَالَّذِى بَلَغَ ذُرْوَةَ المُوَاءَمَةِ وَالمُوَافَقَةِ لِطَبِيعَةِ التَّجْرِبَةِ الشِّعْرِيَّة... ؛ يَقُولُ الشَّاعِر :

مَرَرْنَا عَلَى دَارِ الحَبِيبِ فَرَدَّنَا

عَنِ الدارِ قانُونُ الأعادى ... ؛ وسُورُها

كَأَنَّهُ يَقُول : لَقَد أَرْدتُ أَمْرًا ؛ وَلَكِنَّ الغُزَاةَ حَالُوا بَيْنِى وَبَيْنَهُ ؛ وَهَذَا سُلُوكٌ طَبِيعِىٌّ مَأْلُوفٌ لَنَا ؛ مَا اسْتَنْكَرْتُ وَلا دُهِشْتُ ؛ فَلَطَالَمَا اعْتَدْنَا ذَلِك .

مَرَرْنَا عَلَى دَارِ الحَبِيبِ فَرَدَّنَا

« فَرَدَّنَا » ؛ هَكَذَا أَلْقَى بِعَاقِبَةِ الأَمَلِ سَرِيعًا مِن دُونِ مُقَدِّمَات ... ؛ وَهَكَذَا أَوْرَدَ مَا يُنَبِّهُ العَقْلَ وَيَسْتَوْجِبُ التَّوَقُّفَ مِن قِبَلِ السَّامِعِ ؛ ثُمَّ يُلْقِى إِلَيْكَ بِعِلَّةِ الرَّدِّ وَمِمَّن أَتَت ؛ فَلا يَسَعُكَ سِوَى الصَّمْت ؛ فَإِنَّهُ قَانُونُ الغَاصِب ؛

وَلِلْغَاصِبِ أَن يُقَنِّنَ كَمَا يُرِيدُ وَكَمَا يَشَاء .

فَقُلْتُ لنفسى رُبما هِيَ نِعْمَةٌ

فماذا تَرَى فى القُدسِ حينَ تَزُورُها ؟!!

تَبْرِيرٌ وَتَعْلِيلٌ يُصَوِّرُ فِي بَرَاعَةٍ مَوْقِفَ الرَّجُلِ الَّذِي يُوحِي ظَاهِرُهُ بِأَنَّهُ لا يُبَالِي ؛ وَلَكِنَّ نَفْسَهُ تَمُورُ بِالحُزْنِ وَالأَسَى .

تَرَى كُلَّ ما لا تستطيعُ احتِمالَهُ

إذا ما بَدَتْ من جَانِبِ الدَّرْبِ دُورُها !!

هُوَ مَا قَدِمَ إِلاَّ لأَمْرٍ مِن أُمُورِ الحُبِّ وَالهَوَى ؛ وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا تَيَقَّنَ مِن أَنَّهُ لا أَمَلَ فِي اللِّقَاء ؛ أَلْقَى بِهَذِهِ الحُجَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ كَى يَدْعُوهَا إِلَى الصَّبْر ... ؛ مَاذَا فِي القُدْسِ سِوَى مَا يُدْمِي القَلْبَ وَيَدْعُو إِلَى الشُّعُورِ بِالأَلَم ؟!!... ؛ وَهِيَ تَعِلَّةٌ خَادِعَةٌ !! ... ؛ فَإِنَّ العَاشِقَ يَتَمَنَّى رُؤْيَةَ مَن يَهْوَى وَلَو وَسْطَ الطِّعَانِ وَالقِتَال !! .

وَلَقَد ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ

مِنِّى وَبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِن دَمِى

فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأَنَّهَا

لَمِعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ

وَلَكِن مِنَ العَسِيرِ عَلَى النَّفْسِ أَلاَّ تَجِدَ عُذْرَاً تَرْكَنُ إِلَيْهِ وَتَتَصَبَّرُ بِهِ ؛ وَإِلاَّ فَلَو أَنَّهَا وَقَفَت تَتَأَمَّلُ الحَالَ لاحْتَرَقَت هَمَّاً وَكَمَدَاً .

وما كُلُّ نفسٍ حينَ تَلْقَى حَبِيبَها
تُسَرُّ... ؛ ولا كُلُّ الغِيابِ... ؛ يَضِيرُها

ثُمَّ وَلَجَ إِلَى السَّبَبِ الحَقِيقِىِّ الَّذِى أَتَى بِهِ وَدَفَعَهُ دَفْعَاً وَحَمَلَهُ عَلَى الإِتْيَانِ وَالمَجِىءِ إِلَى القُدْس !!... ؛ فَهُوَ يُعَلِّلُ النَّفْسَ وَيُعَزِّيهَا بِقَوْلِهِ : إِذَا كَانَ الإِخْلاصُ هُوَ عُنْوَانُ الحُبِّ وَرَائِدُهُ ؛ فَإِنَّ العَاشِقَ يُرَافِقُ رُوحَ مَعْشُوقِهِ دَائِمَاً وَأَبَدَاً ؛ فَوجُودُ الصُّورَةِ المَادِيَّةِ المَحْسُوسَةِ أَو غَيَابُهَا لا يَضِيرُ وَلا يُضْعِفُ الأَمْرَ أَو يُعَظِّمُهُ فِى النَّفْسِ وَيَزِيدُهُ .

فإن سرَّها قبلَ الفِراقِ لِقاؤُه
فليسَ بمأمونٍ عليها سرُورُها
متى تُبْصِرِ القُدسَ العتيقةَ مَرَّةً
فسوفَ تراها العَيْنُ حَيْثُ تُدِيرُها

ثُمَّ خَرَجَ الشَّاعِرُ بَعْدَ التَّهْيِئَةِ النِّسْبِيَّةِ مِنَ التَّصْوِيرِ عَن طَرِيقِ القَالِبِ التُّرَاثِىِّ إِلَى الشَّكْلِ الحَدَاثِىِّ ؛ وَلَكِنَّهُ خُرُوجٌ بَغَتَنَا بِأَلْفَاظِهِ وَصُوَرِهِ !! :

فى القُدسِ بائعُ خُضرةٍ من جُورجيا بَرِمٌ
بزوجته يُفكِّرُ فى قضاءِ إجازةٍ أو فى
طلاءِ البيتْ... ؛ فى القُدس توراةٌ وكهلٌ
جاءَ من مَنْهاتِنَ العُليا يُفَقِّهُ فتيةَ البُولُونِ
فى أحكامها... ؛ فى القُدسِ شُرطىٌّ من
الأحباشِ يُغْلِقُ شَارِعاً فى السُّوقِ... ؛

رشَّاشٌ على مُستوطنٍ لم يبلغِ العشرين
... ؛ قُبَّعةٌ تُحَيِّى حائطَ المبكَى... ؛ وسُيَّاحٌ
من الإفرنجِ شُقْرٌ لا يَرَوْنَ القُدسَ إطلاقاً ؛
تَراهُم يأخذونَ لبعضهم صُوَراً مَعَ امْرَأَةٍ
تبيعُ الفِجْلَ فى السَّاحاتِ طُولَ اليَومْ.

خَرَجَ الشَّاعِرُ مِنَ التُّرَاثِ بِكَآفَّةِ أَشْكَالِهِ ؛ تَرَكَ عَمُودَ الشِّعْرِ العَرَبِىِّ وَدَلَفَ إِلَى الحَدَائِقِ ... ؛ ثُمَّ تَرَكَ أَلْفَاظَهُ العَرَبِيَّةَ القَوِيَّةَ لِيَتَبَنَّى وَيَبْنِى أَحْدَاثَ المَشْهَدِ بِأَلْفَاظٍ عَصْرِيَّةٍ ... ؛ وَهُوَ خُرُوجٌ يَحْمِلُ دِلالَةً غَرِيبَةً مُبْهَمَةً عِنْدَ النَّظْرَةِ الأُولَى ... ؛ وَلَكِنَّهُ مُرَادٌ وَمُصَاغٌ عَن طَرِيقِ الرَّغْبَةِ الفَاعِلَة .

وَيَمْضِى الشَّاعِرُ فِى نَسْجِ حِكَايَتِهِ ؛ وَفِى سَرْدِ أُقْصُوصَتِهِ الثَّكْلَى ؛ بِأُسْلُوبِهِ النَّثْرِىِّ المَوْزُون ؛ بِحَيْثُ تَشْعُرُ أَنَّكَ تَقْرَأُ قِصَّةً سَرِيعَةَ الأَدَاءِ ؛ وَلا يَدُلُّكَ عَلَى كَوْنِهَا قَصِيدَةً سِوَى هَذِهِ القَوَافِى المُتَشَابِهَةِ الَّتِى تَأْتِى بَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ كَى تُخْبِرُكَ أَنَّكَ تَقْرَأُ شِعْرَاً ؛ وَإِن كَانَت السَّذَاجَةُ تُخَيِّمُ عَلَيْهَا فِى بَعْضِ المَوَاضِعِ !! ... ؛ إِلاَّ أَنَّ النَّكَارَةَ الحَقِيقِيَّةَ تَتَجَلَّى لَكَ فِى مَوْضِعَيْن :

الأَوَّلُ حَيْثُ يَقُول :

فى القُدس مدرسةٌ لمملوكٍ أتى مما وراءَ النَّهرِ
... ؛ باعوهُ بسوقِ نِخَاسَةٍ فى أصفهانَ... ؛ لتاجرٍ
من أهلِ بغدادٍ أتى حلباً فخافَ أميرُها من
زُرْقَةٍ فى عَيْنِهِ اليُسْرَى... ؛ فأعطاهُ لقافلةٍ أتت

مصرا... ؛ فأصبحَ بعدَ بضعِ سنينَ غَلاَّبَ المغولِ
... ؛ وصاحبَ السُّلطانْ !!

فَهَذَا كَلامٌ نَثْرِيٌّ بَارِدٌ لا يَشْفَعُ لَهُ الوَزْن !!... ؛ ثُمَّ تَرَى ضَعْفَ التَّهْذِيبِ يَتَجَلَّى أَكْثَرَ مَا يَتَجَلَّى فِي مُحَاوَلَتِهِ إِحْدَاثَ الإِيقَاعِ المُوسِيقِيِّ المُنَبِّهِ فِي قَوْلِهِ :

فى عَيْنِهِ اليُسْرَى ... ؛ أتت مصرا

وَكَأَنَّهُ عَوَّلَ عَلَى إِلْقَائِهِ وَأَدَائِهِ ؛ وَنَسِيَ أَنَّ القَصِيدَةَ سَتُقْرَأُ !!... ؛ وَأَنَّ البَوْنَ شَاسِعٌ بَيْنَ السِّيْنِ وَالصَّادِ !!... ؛ فَهِذِهِ تُحْدِثُ رَنِيناً خَافِتاً ؛ وَالأُخِيرَةُ تُحْدِثُ رَنِيناً ثَقِيلاً ؟!!

وَأَمَّا المَوْضِعُ الثَّانِي ؛ فَهُو قَوْلُهُ :

فيها الزَّنجُ والإفرنجُ والقَفْجَاقُ والصِّقْلابُ والبُشْنَاقُ
والتتارُ والأتراكُ ؛ أهلُ الله والهُلاَّكُ ؛ والفُقراءُ والمُلاَّكُ ؛
والفُجَّارُ والنُّسَّاكُ

هَذِهِ سَذَاجَةٌ غَرِيبَةٌ ؛ تُشْعِرُكَ بِضَعْفِ وَفُتُورِ الشَّاعِرِيَّةِ ؛ وَالَّتِي انْعَكَسَت عَلَى التَّعْبِير !! ... ؛ بَل هِيَ بِتَجَارِبِ الصِّبْيَانِ أَشْبَه !!.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ـ القَصِيدَةُ الثَّانِيَة :

✿ ـ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ

هَذِهِ قَصِيدَةٌ صَوْتِيَّةٌ ؛ تَعْتَمِدُ عَلَى رَنَّةِ القَافِيَةِ الَّتِي كَثِيراً مَا تَأْتِي سَرِيعاً ؛ وَهِيَ

أَقْرَبُ إِلَى الشِّعْرِ الخَطَابِيِّ ... ؛ وَلَعَلَّ هُجُومَ القَافِيَةِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ شَانَهَا أَكْثَرَ مِمَّا زَانَهَا ... ؛ وَإِن كُنْتُ أَرَى خَطَأً أَعْظَمَ مِن هَذَا الأَمْرِ ؛ وَهُوَ غَفْلَةُ الشَّاعِرِ عَن المَسَاحَةِ الشَّاسِعَةِ بَيْنَ القَافِيَتَيْن ؛ وَذَلِكَ حِينَ يَقُول :

فى بالِها لَيْلُ المذَابِحِ والنُّجُومُ شُهُودُ زُورٍ فى البُرُوجْ

ثُمَّ يَأْتِى وَقَد ابْتَعَدْنَا عَن التَّعْبِيرِ وَالتَّصْوِيرِ الشِّعْرِىِّ وَقَافِيَتِهِ ؛ فَيَقُول :

فى كَفِّهِ حَلْوَىً ؛ يُنَادِيكِ : « اُخْرُجِى !! ؛ لا بَأْسَ يَا هَذِى عَلَيكِ مِنَ الخُرُوجْ »

وَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَّةً ثَانِيَةً حِينَ قَال :

يا أُمَّتى يَا ظَبْيَةً فى الغَارِ ضَاقَتْ عَنْ خُطَاها كُلُّ أَقْطَارِ المَمَالِكْ

ثُمَّ أَتَى بَعْدَمَا مَرَّ البَيْتُ بِقَافِيَتِهِ وَصَوْتِهِ المُوسِيقِىِّ ؛ فَنَرَاهُ يَقُول :

وَلْتَذْكُرِى أَيَّامَ كُنْتِ طَلِيقَةً ... ؛ تَهْدِى خُطَاكِ النَّجْمَ فى عَلْيائِهِ ؛ والله يُعرَفُ من خِلالِكْ

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ـ القَصِيدَةُ الثَّالِثَة :

✿ ـ قِفَى سَاعَةً يَفْدِيكِ قَوْلِى وَقَائِلُهْ

هَذِهِ قَصِيدَةٌ ؛ لا أَقُولُ مِن رَوَائِعِهِ ؛ بَل هِىَ مِن رَوَائِعِ الشِّعْرِ الحَدِيث ؛ فَهِىَ غَايَةٌ فِى الفُحُولَةِ وَالقُوَّةِ ؛ مِن حَيْثُ صُورِهَا وَأَلْفَاظِهَا ؛ وَالصُّورَةُ وَاللَّفْظُ ؛ هُمَا مِعْيَارُ الاحْتِكَام .

وَمَا أَبْدَعَ قَوْلَهُ :

ولا تَخْذُلى مَنْ باتَ ... ؛ والـدَّهرُ خاذِلُهْ !!
أَنَا عَالِمٌ بالحُزْنِ مُنْذُ طُفُولَتى !!
رفيقـى ... ؛ فما أُخْطِيهِ حينَ أُقَايِلُهْ !!
فَقَوْلُهُ :
ولا تَخْذُلى مَنْ باتَ ... ؛ والـدَّهرُ خاذِلُهْ !!

تَصْويرٌ يُوصِلُ إِلَيْكَ جَلالَةَ الإِحْسَاسِ الَّذِى يَرْغَبُ الشَّاعِرُ فِى بَثِّهِ !!... ؛ فَإِن كُنْتُ لَم أَعْـرِف مِنَ الـدَّهْـرِ سِوَى الخِـذْلان ؛ فَإِنَّهُ مِنَ المُحَالِ أَن يَأْتِى الخِذْلانُ أَيْضَاً مِن قِبَلِك !!... ؛ وَلَئِن كَانَ ذَلِكَ ؛ فَتِلْكَ لَعَمْرِى هِىَ المَأْسَاةُ الَّتِى لَيْسَ إِلَى تَصْويرِهَا مِن سَبِيل !!.

ثُمَّ تَأَمَّل هَذَا التَّصْوير :

فإنْ فَرَّ مِن مِخْلابِهِ طاحَ هَالِكاً
وإن ظَلَّ فى مِخْلابِهِ ... ؛ فَهْوَ آكِلُهْ

نَتِيجَةٌ حَتْمِيَّةٌ لا مَفَـرَّ مِنْهَا !!... ؛ وَفِى هَذَا أَبْلَغُ تَصْويرٍ لِلْوَاقِعِ المُؤْلِمِ الحَزِين !!.

ثُمَّ تَأَمَّل قَوْلَهُ :

ترى الطفلَ مِنْ تحت الجدارِ مُنادياً
أبى لا تَخَفْ والموتُ يَهْطُلُ وابِلُهْ

صُورَةٌ نَابِضَةٌ تَنْطِقُ بِحَقِيقَةِ الوَاقِعِ المُؤْسِفِ ؛ وَإِذَا كَانَت المَشَاهِدُ المَرْئِيَّةُ أَبْلَغُ تَأْثِيراً مِنَ الكَلامِ المَسْمُوعِ أَو المَقْرُوء ؛ فَالقَاعِدَةُ تَشُذُّ هَاهُنَا !!.

وَفِى قَوْلِهِ :

أَرَى المَوْتَ لا يَرْضَى سِوانا فَرِيْسَةً !!
كَأَنَّا لَعَمْرِى أَهْلُهُ وَقَبَائِلُهْ !!
بُلُوغٌ لِذُرْوَةِ التَّصْوِيرِ ؛ وَخَاتِمَةٌ عَبْقَرِيَّةٌ لِلمَشَاهِدِ الَّتِى طَافَت بِخَيَالِ المُتَلَقِّى !!.

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ـ القَصِيدَةُ الرَّابِعَة :

✿ ـ إلى السيد حسن نصر الله

هَذِهِ قَصِيدَةٌ ... ؛ عَارٌ عَلَى الشِّعْرِ العَرَبِىِّ !!... ؛ كَلامٌ مَنْثُورٌ ... ؛ ثُمَّ إِنَّهُ مِنَ السَّذَاجَةِ بِمَكَانٍ كَبِيرٍ ... ؛ لَو مُحِيَت مِن دِيوَانِ الشَّاعِرِ لأَحْسَنَت إِلَيْهِ صُنْعَاً !! ... ؛ فَإِنَّهُ شَىْءٌ مُتَهَافِتٌ ؛ وَلَهَا نَظَائِرٌ فِى شِعْرِهِ !!... ؛ وَشِعْرُهُ العَمُودِىُّ أَفْضَلُ بِكَثِيرٍ مِن هُرَائِهِ الَّذِى قَدَّم ؛ وَالأَبْيَاتُ الأَخِيرَةُ مِن بِدَائِعِهِ الَّتِى تَدُلُّ عَلَى قُوَّتِهِ وَبَرَاعَتِهِ فِى فَنِّ القَرِيضِ حِينَ يَصُوغُ مَعَانِيهِ فِى قَالِبٍ عَمُودِىٍّ تُرَاثِىٍّ .

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ـ القَصِيدَةُ الخَامِسَة :

✿ ـ أَيُّهَا النَّاس !!

هَىَ قَصِيدَةٌ فِى مَنْزِلَةٍ وَسَط ؛ وَهِىَ إِلَى عَدَمِ القَبُولِ وَالتَّمْرِيرِ أَقْرَب .

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ـ القَصِيدَةُ السَّادِسَة :

✿ ـ معين الدمع لن يبقى معينا

هِيَ قَصِيدَةٌ سَرِيعَةُ الأَدَاءِ ؛ وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَرِيفَةٌ فِى مَعَانِيهَا وَمُوسِيقَى وَزْنِهَا .

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ـ القَصِيدَةُ السَّابِعَة :

✿ ـ نفسى الفداء لكل منتصر حزين

هَذِهِ قَصِيدَةٌ حَدَاثِيَّةٌ بِكُلِّ مَعَانِى الحَدَاثَة ؛ وَقَد أَجَادَ الشَّاعِرُ فِى التَّصْوِيرِ وَالتَّعْبِيرِ ؛ وَأَبْدَعَ فِى بَعْضِ المَوَاطِنِ ؛ كَقَوْلِهِ :

لم ألق إلاَّ قاتلاً قلقاً !!... ؛ وقتلى هادئين !!

وَقَوْلِهِ :

من أين يأتيكم شُعُورٌ أنكم ستُعَمِّرُون إلى الأبدْ ؟!!

ثقةٌ لعمرى ... ؛ لم أجدها فى أحدْ !!

وَمَا أَخَذتُ سِوَى هَذِهِ الفَقْرَة :

ويخُرجون الجسمَ رغم تشابه الألوانِ

بين الرمل والإنسانِ

كالذكرى من النسيانِ

كالمعنى من الهذيانِ

فَتِكْرَارُ القَافِيَةِ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ ؛ مَا أَدَّى إِلاَّ إِلَى وُجُودِ أَصْوَاتٍ مُوسِيقِيَّةٍ غَثَّةٍ ؛ وَكَأَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بِالسُّرُورِ وَهُوَ يَظْفَرُ بِلا مُعَانَاةٍ بِهَذِهِ القَافِيَة ؛ وَكَأَنَّ ذَلِكَ مِن دَلائِلِ القُوَّةِ ؛ حَتَّى وَلَو لَم يَصْنَع الجَمَالَ المُرَاد !! .

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ـ القَصِيدَةُ الثَّامِنَة :

✿ ـ بيانٌ عسكرىٌّ

هِىَ قَصِيدَةٌ جَيِّدَةٌ ؛ جَمَعَت بَيْنَ الأَصَالَةِ وَالتُّرَاثِ ـ أَوَّلاً ـ ؛ وَالحَدَائَةِ ـ ثَانِيَاً ـ ؛ وَقَد أَجَادَ هَاهُنَا ؛ وَهَاهُنَا ؛ وَمَا وَهَنَ التَّصْويرُ إِلاَّ فِى مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ؛ وَمَا وَهَّنَهُ التَّصْويرُ فِى ذَاتِهِ ؛ بَل اللَّفْظُ التَّعْبِيرِىُّ المُسْتَخْدَم ؛ وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُول :

من ذهاب المسيح إلى الثالث الإبتدائىِّ فى أرضنا

فَقَوْلُهُ : « إلى الثالث الإبتدائىِّ »

فِيهِ قَطْعٌ لِحَبْلِ الخَيَالِ المُتَّحِد .

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ـ القَصِيدَةُ التَّاسِعَة :

✿ ـ إن سارَ أهلى فالدَّهر يتَّبعُ

هَذِهِ قَصِيدَةٌ أَثْنَى عَلَيْهَا القَاصِى وَالدَّانِى ؛ وَمَا بِوِسْعِى سِوَى الثَّنَاءِ أَيْضَاً ؛ لا لِكَوْنِى لا أُحِبُّ خَرْقَ الإِجْمَاعِ الَّذِى انْعَقَد ؛ بَل لأَنِّى أَرَاهَا قَمِينَةً بِكُلِّ مَدْحٍ وَتَقْرِيظٍ ؛ فَقَد جَمَعَت بَيْنَ جَمَالِ الصُّورِ وَرَوْعَةِ المَشَاهِدِ المُجَسَّدَةِ ؛ وَبَيْنَ فُحُولَةِ اللُّغَةِ وَجَزَالَةِ الأَلْفَاظِ المُعَبِّرَة .

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ـ القَصِيدَةُ العَاشِرَة :

۞ ـ حَدِيثُ الكِسَاء

حَدِيثُ الكِسَاء !!... ؛ حَدِيثُ خُرَافَةٍ !!... ؛ يَا أُمَّ عَمْرٍو !!... ؛ مَا أَدْرِى كَيْفَ سَوَّغَ الشَّاعِرُ لِنَفْسِهِ هَذِهِ الدَّرَجَةَ مِنَ التَّنَطُّعِ ؟!!... ؛ هَذَا لَيْسَ بِشِعْرٍ يَا صَاحِبِى !! ... ؛ إِنَّمَا هُوَ سَفْسَطَةٌ وَكَلامٌ عَابِثٌ لا فِى العِيرِ وَلا فِى النَّفِير !! ... ؛ فَلْيُجَامِلِ بِهِ مَن يُرِيد !!... ؛ وَلَكِن أَن يَسْخَرَ مِن عُقُولِنَا فَيَدَّعِى أَنَّ هَذَا مِنَ الشِّعْرِ ... ؛ فَدَعْوَاهُ تُرَدُّ عَلَيْهِ وَتُلْقَى فِى وَجْهِهِ ؛ الشِّعْرُ مُعَانَاةٌ وَجَمَالٌ وَخَيَال ... ؛ أَمَّا هَذَا !!... ؛ فَهُو مِزَاحُ أَطْفَال !!.

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

ـ القَصِيدَةُ الحَادِيَةُ عَشْرَة :

۞ ـ الحَمَامَةُ وَالعَنْكَبُوت

هِيَ قَصِيدَةٌ طَرِيفَةٌ جِدًّا ؛ وَفِكْرَتُهَا جَدِيدَةٌ رَائِعَةٌ ؛ وَعَلَى الرَّغْمِ مِن أَنَّهَا تَفْتَقِدُ إِلَى الصُّورِ الَّتِى تَدْهَشُ العُقُولَ وَالقَرَائِحَ ؛ أَو تُعْجِبُ الرُّوحَ الشَّاعِرَة ؛ إِلاَّ أَنَّهَا تَسْتَهْوِى النُّفُوس ... ؛ وَمَا أَطْرَبَنِى بَيْتُ كَهَذَا البَيْت :

وأعرف ما ضرَّكِ المُشركُونَ
ولكن من المؤمنين أُتيتِ

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

ـ القَصِيدَةُ الثَّانِيَةُ عَشْرَة :

۞ ـ الهَوى... وَالحَرْب

هَـذِهِ قَصِيدَةٌ عَـرِبِيَّـةٌ بِكُـلِّ مَـا تَحْمِلُـهُ هَـذِهِ الكَلِمَـةُ مِـن مَعَـانٍ ؛ أَلْفَاظُهَا ؛ وَمَعَانِيَهَا ؛ وَجَرْسُهَا المُوسِيقِىُّ ؛ وَخَيَالاتُهَا ؛ وَكُلُّ مَا فِيهَا مِن أَسَالِيبِ التَّعْبِيرِ وَالتَّصْوِير .

تَأَمَّل قَوْلَهُ :

ويُكثِرُ قولَ الشِّعرِ فى الحربِ لا الهوى
لأنَّ الهوى لو قِيسَ بالحربِ جارحُ

تَجِد مَعْنَىً جَمِيلاً ؛ عُبِّرَ عَنْهُ بِأُسْلُوبٍ لُغَوِىٍّ سَهْلٍ وَرَصِينٍ فِى آن .

ثُمَّ تَأَمَّل هَذَا البَيْت :

وفى كُلِّ حربٍ ثَمَّ حقٌّ وباطِلٌ
وفى الحُبِّ لا هذا ولا ذاكَ واضحُ

تَجِد نَتِيجَةً رَائِعَةً ؛ صِيغَت بِأَدَاءٍ تَعْبِيرِىٍّ زَادَهَا حُسْنَاً .

ثُمَّ انْظُر قَوْلَهُ :

فقِف عند رسمٍ ما ترحَّلَ أهلُهُ

تَجِد مَعْنَىً يَحْسُدُهُ عَلَيْهِ الشُّعَرَاء ؛ إِذ أَنَّهُ أَتَى بِمَعْنَىً لَم يُسْبَق إِلَيْهِ - فِى ظَنِّى - ؛ إِذ مَا أَحَدٌ يَذْكُرُ الرَّسْمَ إِلاَّ وَيَأْتِى بِقَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى وِحْدَتِهِ وَكَآبَتِهِ بَعْدَمَا تَرَحَّلَ أَهْلُهُ ؛ فَرُؤْيَتُهُ تُهَيِّجُ النَّفْسَ وَتَحْمِلُهَا عَلَى الشُّعُورِ بِالأَلَم ؛ وَأَمَّا هَذَا ؛ فَإِنَّهُ رَسْمٌ مَا تَرَحَّلَ أَهْلُهُ ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ شَبِيهٌ بِالأَوَّلِ ؛ وَلَرُبَّمَا كَانَ

أَعْظَمَ تَأْثِيراً عَلَى النَّفْسِ مِنَ الطَّلَلِ البَالِي وَالرَّسْمِ الكَئِيبِ المُوحِشِ ؛ بِمَا يَحْمِلُ مِن شَوَاهِدِ الحُزْنِ وَعَلامَاتِ الأَسَى !!.